١٠٤٦
دار م. النحاس
كبير
1046
HARLEQUIN

حلم صعب المنال

باتريسيا ويلسون

www.elromancia.com
مرمورية

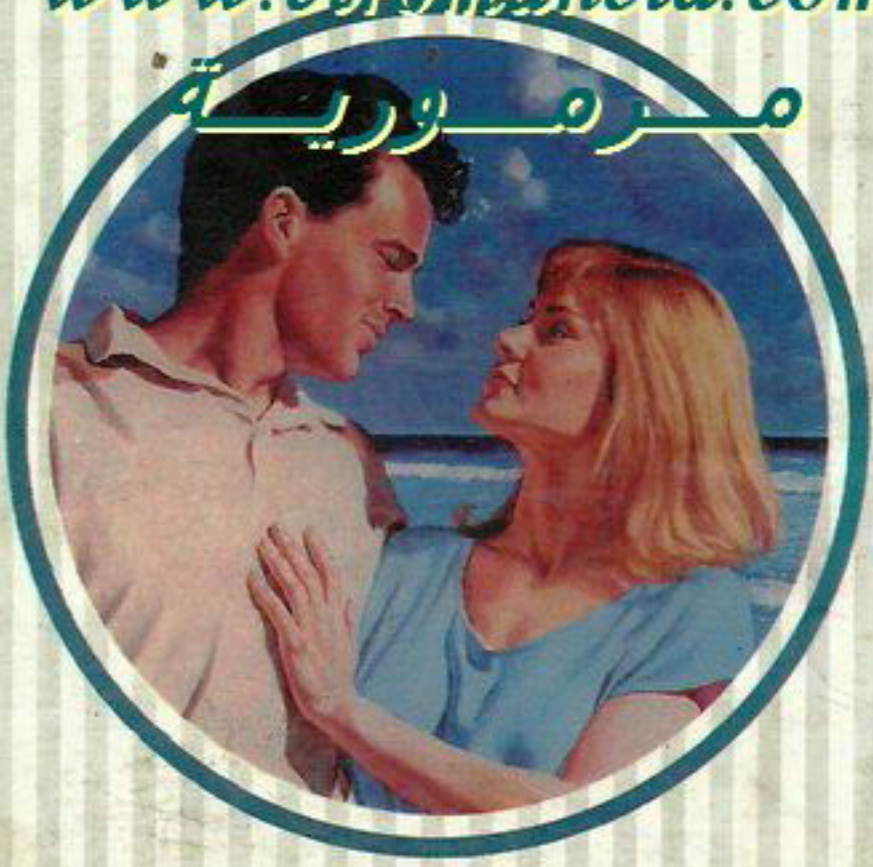

حلم صعب المنال

باتريسيا ويلسون

جايمس ساندرسون، مستبد، وسيم، وبارد كصخرة سوداء. خلف بريقه، ولمعانه وسفسطائيته، علمت جيما أن هناك قطة برية تتربص لتأخذ ما تريد. وهو يريدها. وفاة والدها والظروف المستجدة قد منحت جايمس اليد الطولى في التصرف. أوضحت جيما أنها لا تحبه أو تستلطفه، ولكن الطريقة الوحيدة لكسب الوقت، كانت الموافقة على طلب الزواج منها. أخيراً، تحصنت بإحساس من التحرر الذاتي وأشياء اخرى عن نفسها، واستعدت لإثباتها.

«افترضي أني وعدت بأن أسعدك.»

«لا يمكنك.» قالت بسرعة: «أنا أكرهك، أكرهك لأنك أقحمت نفسك في حياتي، لأنك أخذت مني كل شيء. كيف يمكنك أن تسعد أحداً؟ أنت لست حتى طبيعياً. ما أنت إلا قوة عاصفة.»

نظرات عينيه رمقتها بغموض، وارتجفت حين ارتفعت يده لتلامس بشرتها. أنامله توقفت عند رقبتها لتستشعر النبض في عنقها، وكأنه يريد حتى أن يعرف ما يجول من أفكار في داخلها عبر نبضها.

«إذاً، لن أعد بشيء» أكد لها جايمس بهدوء، «سأنتظر ببساطة، وسوف تأتين إليّ، يا جيما، لأنك بحاجة إليّ.»

Abir 1046

حلم صعب المنال

باتريسيا ويلسون

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

باتريسيا ويلسون

اعتادت السكنى في «يوركشاير»، انكلترا، بعد أن كبر أولادها جميعاً، قررت التخلي عن مهنة التدريس هناك، وانضمت إلى زوجها في رحلة طويلة إلى اسبانيا، رحلاتهم زودتها بشحنة من العواطف والرومنسية مما دعاها للكتابة.

www.elromancia.com

لتنبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه. فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

INTANGIBLE DREAM

Copyright © by Patricia Wilson 1992

ISBN 0-373-11578-4

Mills & Boon first edition August 1993

الطبعة العربية الاولى عن مؤسسة النحاس ١٩٩٤

عنوان الطبعة العربية

حلم صعب المنال بقلم باتريسيا ويلسون

ترجمة: عائشة ابو الخدود

سلسلة عبير ١٠٤٦

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لمؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).

جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.

كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: مؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات. بيروت. لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع. ص.ب: ١١/٩٧١٨. فاكس ٨٦٦٤٩٩. هاتف: ٨٦٦٤٩٨ - ٨٦٥٣٧١. سجل تجاري: ٧٥١٠. بيروت. تسجيل العلامات التجارية في وزارة الاقتصاد دار م. النحاس للنشر ٥٩٤٣٩. عضو مؤسسة النحاس ٥٩٤٤٠ | ١٩٩٣ هارلكوين انتربرايزس. ت عبير ٤١٦١٦ | ١٩٨٢.

الفصل الأول

أمطرت السماء أثناء الدفن، ليس بغزارة، ولكن الغيوم الداكنة كانت تبكي القبر. تقدم أحدهم من جيما حاملاً مظلة ولكنها لم تكن تدري ما يدور حولها. عيناها قد جفتا بعد الذي ذرفتاه وتسمرتا أرضاً. وكيانها أصبح مشلولاً وبارداً تجاه هول الحزن. توفي والدها، وأيامه الأخيرة تلطخت بفضيحة.

كم من الأشخاص هنا يفكرون بذلك؟ كثيرون من الذين يدعون بأنهم أصدقاء ومعارف يقفون هنا، بينما ينتظرون صحف الغد بفارغ الصبر. استدارت برأسها لتلقي بنظرة تلتقي بنظراتهم ووجهها الشاحب مستكين.

كان الحزن شخصياً. الدموع ذرفت بالخفاء والنواح كان قد انتهى، لقد اشاحوا بنظراتهم، القليل تلقفوا لمحتها للحظة، وحتى الأمس كان عليهم أن يخفضوا بصرهم أمام نفحة الغرور على الوجه الجميل، كلهم ما عدا واحد، جايمس ساندرسون، وقف بعيداً عن باقي المعزين، برغم ذلك، بدا مهيمناً عليهم بقامته الطويلة التي تعلو عن باقي الرجال بعدة سنتيمترات، عيناه الداكنتان احتوتا عينيها دون تردد أو إحراج. كان مستبداً، متكبراً، متجهماً. بدا مدعاة للخوف.

كان يبدو صلباً، طويلاً، عريض المنكبين، أبيّاً، متين البنية، شعره أسود وعيناه تبدوان كالجليد وهما ترقبانها. ترى هل كان ينتظر انكسارها أم تخاذلها؟

كانت تعرف هاتين العينين البنيتين، كانتا مميزتين، نوع من العيون التي يمكنك أن تغرق في لججها ولا يمكنك النجاة أبداً. تعابيره جافة، كان قاسياً، وجامداً كحجر الرخام المصقول.

تقدم رجل الدين منها معزياً ومؤاسياً، فانصتت إلى كلامه الموزون، مَن في إمكانه الآن أن يريح نفسها؟ ما من أحد، وخاصة الآن.

بدت حياتها منتهية منذ أيام، عندما توفي والدها. الآن هنالك المنزل، «الدروب الساطعة»، جميل وفارغ، لم يعد لها، وبفقدانه لن يبقى لها أي شيء.

«آنسة ليل، لم أكن أعرف والدك...» تأملها رجل الدين والقلق يعتريه، إنه رجل طيب رأى في عينيها الضياع. «عرفته أنا.» جاء صوتها باهتاً يفتقد الروح، ولكنه حاول ثانية: «إن احتجت لمساعدة، لنصيحة...»

«لديها المساعدة، هذا لطف منك، طبعاً، ولكني سأهتم بمصالح الآنسة ليل، لا تقلق.»

التفتت جيما نحو الصوت العميق، هذا الصوت الذي يتلاءم مع الرجل، وكان هو جايمس ساندرسون، يقف إلى جانبها، يحتويها، يرعبها، يضعها تحت إمرته، للحظة شعرت بالإنسحاق يجتاحها وكأنه يتحكم بأنفاسها. كلمات الإحتجاج تعثرت ولم تخرج من فمها.

«سأصطحبك إلى المنزل، يا جيما.» أطبقت يده على ذراعها، فجفلت وقالت: «أنا، أنا لا أستطيع.» واتجهت عيناها نحو القبر، الألم والإحتجاج اجتاحا وجهها فجأة، ولكنه حثها دون هوادة.

«لقد رحل، يا جيما، عليك العودة إلى المنزل، الوقت سيعالج الأمور.»

«كيف لك أن تعلم؟ أنت كحجر الصوان، بدون شعور، قاسٍ. من أحببت في حياتك؟»

بما أنهما كانا محور نظرات عديدة، حافظت على صوتها منخفضاً، ولكن المرارة التي تعتريه مكنته من سماعها بوضوح.

«اغضبي مني إن شئتِ. يمكنني التحمل ولكن تمالكي نفسك، واخفضي صوتك حتى نخرج من هنا. الصحافة منتشرة بين الجميع وهنالك على الأقل مصوران متستران بين الأشجار.»

كان صوته بارداً، محذراً، وقبضته كالفولاذ، لم يكن عليه تكرار ذلك، لقد أدركت، ورأتهما فعلاً، إنها جيما ليل، لعبة الصحافة الجميلة. أخذت نفساً عميقاً، ورفعت رأسها الجميل، وسيطرت على ملامحها.

همس بهدوء: «أحسنت. تماسكي هكذا حتى نخرج من هنا.»

تجاهل السيارة التي أحضرتها، وصرف السائق بإشارة من يده، وبرغم ازدحام الممر بالسيارات، استطاع أن يخرج سيارته المرسيدس الفضية إلى البوابة مع أنها لم تكن هناك، ولماذا تفكر وتحتار بهذا الأمر، إنه جايمس ساندرسون الواثق من عالمه، المستبد، الوسيم، والممتلىء رجولة.

استقرت داخل السيارة الدافئة المريحة، بينما هو أدار محرك السيارة وقادها بأقصى سرعة ممكنة وهو يرقب

جميع الصحافيين عبر مرآة السيارة وهم مستاؤون لعدم تمكنهم من مقابلتها أثناء الدفن. «سيكونون حول المنزل قريباً.» نظرت إليه، ثم القت برأسها المتعب على مسند المقعد الوثير.

قال ببرودة: «ليس والأبواب موصدة.» أجابته: «كيف لي أن أوصد الأبواب؟ الناس سوف تأتي إلى البيت متوقعة شراباً لواجب العزاء... للفضول.» أنهى بسخرية: «لن يأتوا، لقد ألغيت كل ذلك.» ماذا فعلت؟ واستقامت في جلستها محدقة به، بينما عيناه ما كادتا ترمقانها ببرودة.

«لقد تكلمت مع الناس. أصدقاء والدك تفهموا مشاعرك ويدركون رغبة الصحافة في الإصطياد في الماء العكر، فوافقوا، أما الآخرون فليسوا من الأهمية بمكان. لن يدخل إلى «الدروب الساطعة» أحد سوانا، أما بالنسبة للمداخل فلقد أحضرت رجلين معي والصحافة ستبقى بعيداً.»

رأت ما عناه بكلامه عندما دلفت السيارة عبر المدخل، الرجلان كانا شديدين، ضخمين وملتزمين، ألقى التحية عليهما ورداها بمثلها وبعدها سمعت أبواب المدخل تغلق ووقع المزلاج كان نهائياً كما بدت لها حياتها.

«لقد ازداد قليلاً عدد الأعداء.» علّقت بنبرة جافة فرمقها بنظرة قاتمة ومحددة: «الأعداء لا يزعجونني، فلقد نشأت في واقع صعب، يا آنسة ليل، الآن أنا ممتن لذلك، لأن التربية الجيدة لا تجدي نفعاً في الأدغال.»

«تعني أني مدللة، أتصرف بصبيانية ولينة وما إلى ذلك...»

«حضور إجتماعي دون وزن حقيقي بمقياس العالم.» وافق بسخرية، وتابع قوله:

«لديك حسنتان، جمالك، وحب أبيك لك. كان صديقي وسأحميك قدر استطاعتي.»

«لست في حاجة.» تكلمت بانفعال ولكن كالمعتاد لم يتح لها الفرصة لتنهي كلامها: «أنتِ لستِ بحاجة لمساعدة من نكِرة، تافه، ذلل بأظفاره الصعاب ليخرج من الحضيض؟»

أضاف باستهزاء: «لا تبالغي في وضعك بسرعة، تعلمي الحكمة، المهرجان قد انتهى.»

أثار كلامه موجة من التحذير مما أثار حفيظة جيما، ولكن الوجه الوسيم الداكن كان ساكناً وعيناه تسرحان عبر مدخل السيارات بينما شفتاه كانتا صلبتين وثابتتين فأحست بأبواب فخ محكم تطبق حولها.

كان جباراً، عديم الشفقة، الكل يعرف ذلك. أبوها كان يخشاه ويقيم له اعتباراً إذ أن جايمس ساندرسون لا يعتبر غريباً على «الدروب الساطعة»، ولكن جيما كانت تشعر بالضيق حين يكون مدعواً، انما حبها لوالدها وواجب الضيافة كانا فقط يجبرانها على البقاء معه في غرفة واحدة. القوة الغامضة الآمرة تخيفها، العينان الغامضتان المتألمتان تخيفانها، خلف البريق والرونق والسفسطة هنالك وحش مفترس، كانت على يقين من ذلك. استطاع أن ينقش اسمه بأحرف ناصعة في عالم الأعمال، ولم تشك في استنتاج والدها بأنه مهندس لامع، في إمكانه الإستمرار حيث يخفق الآخرون. كانت تعلم أنه يقوم بأعمال مشبوهة بذكاء وقد جنى ثروة منها،

وبالنسبة لها، هو هر بري متوحش، متخفٍ بقشور رقيقة من الحضارة.

باري ليل ضحك لتعليقاتها حتى أنها تخال سماع صوته الآن. «عزيزتي، جايمس رجل مثقف، لا تخطئي باعتبار بداياته الوضيعة بغباء. لقد نال المنحة الدراسية منذ الطفولة وقد عمل بجهد وثبات. كان ملزماً بذلك، لم يدخل المدارس الخاصة، ولم يحضر حفلات نوادي كرة المضرب، ولا حتى أي نشاط ترفيهي، وبرغم ذلك هو لاعب «رغبي» من الدرجة الأولى ومحترف أيضاً باعتراف الجميع.»

«افترض أنك سمعت ذلك منه.»

«لا تسيئي الظن، يا جيما، جايمس لا يتكلم عن نفسه، وقته أثمن من الكلام، ومن حسن حظي أنه التحق بالشركة فهو ليس مجبراً على ذلك.»

حتماً لا، لم يكن مجبراً على ذلك، فجايمس ساندرسون لديه شركة هندسية مدنية منتشرة في العالم، إبتدأ من العدم، وكان ثرياً عندما استهوته شركة «ليل ـ للهندسة»، الآن اصبحت «ساندرسون ـ ليل» جزء من مجموعته... ولكن تركت باسم مختلف نوعاً ما. ذكر والدها بان تسميتها هكذا أفضل ولكن جيما كانت على يقين بأن جايمس ساندرسون قد أغدق بأمواله على الشركة وبالتالي سيطر عليها. لم يبتلع شركة والدها كلياً بعد، ولكنه ضمها، ولم يبق من مجال للشك، من هو المدير؟

إنها مغتاظة، الشركة هي إرث عائلي لأجيال، ناجحة، ومحترمة. لم تألف جيما إلا حياة الثراء والراحة، لم يكن

هناك أي تأثير خارجي حتى ظهر جايمس ساندرسون، بدا غامضاً، شبحاً مخيفاً، ووجهه البارد الوسيم يوحي بوجود ثعلب ماكر في داخله. لم تعمل جيما أبداً، لم يكن والدها يسمح بذلك ومتأكدة من أن جايمس ساندرسون يستخف بها، وعاجلاً ستقلب الموازين في الشركة، نظرة واحدة منه قادرة على قلب موازين أقوى الرجال.

إنه يوترها، إنها متوترة الآن بينما هي في قرارة نفسها ممتنة له، لحمايته الحالية لها، ربما غداً تستطيع مواجهة الأمور، لقد خسر والدها كل شيء باستثناء حصته في الشركة، لقد أطلعها على ذلك قبل وفاته. كان يحيا حياة أخرى لا تعرفها ـ مركب خاص، ميسر، نساء. لم يبق شيء. حتى حصته في الشركة لا تكفي لتغطية الديون وحتى بيع «الدروب الساطعة.»

لم يبق لها سوى الكبرياء واللوعة، لأن جايمس ساندرسون كان على علم بكل شيء، ترك الأمور تجري ببساطة وانتظر بمكر، أما الآن فإنه يدّعي صداقة والدها.

توقفت السيارة أمام المنزل، ودلفت جيما خارجاً لتقف تحت المطر متأملة المنزل وكأنها لن تراه ثانية، ذلك حقيقة حتمية.

«الدروب الساطعة» كان جزءاً لا يتجزأ من حياتها، يقبع على كتف تلة، المنظر خلاب والمنزل أيضاً. ضخم ومهيب، الجدران مغطاة بالنباتات المتعرشة المزهرة لتضفي عليه الروعة، لا يمكنها أن تنتقل إلى منزل آخر، أن تغادر من هنا، يعني لها النهاية، ومجرد الإحساس بذلك يحطمها.

لم تنتبه لوجود جايمس ساندرسون بقربها إلا بعد أن

تكلم: «أنت تحبين هذا المنزل، أليس كذلك؟» نعم، فأنا لم أعش في أي مكان آخر، الآن عليّ مغادرته.

قال بهدوء ممسكاً يدها متوجهاً بها إلى درجات السلم المؤدية إلى الباب الرئيسي للمنزل: «هذا يعود إليك.»

ابتسمت ابتسامة غريبة: «أتمنى ذلك. أتمنى الإحتفاظ به حتى لو اضطررت للعيش في غرفة واحدة وأكلت مرتين في الأسبوع. كل أيامي السعيدة عشتها في هذا المنزل، عندما أخسر «الدروب الساطعة» سيضيع كل شيء حتى الذكريات.»

«الذكريات في الذاكرة.»

«لذلك أنت شديد البرودة؟» أرادت أن تجرحه فجأة كما هي مجروحة، كان هذا سخيفاً، فما من أحد يستطيع جرحه: «كلا، هذا غباء، إنس الأمر، ما من شيء يمكنه جرحك، أنت لا تُقهر. أليس ذلك؟»

«هكذا تفكرين بي، لا أقهر!» وابتسم ابتسامة لطالما اقلقتها... كانت غامضة... وتخفي أشياء لا يمكنها تصورها.

«أنا لا أفكر بك أبداً يا سيد ساندرسون.» هذا حتماً سيريحك. لندخل فالمطر ينهمر. تذمره المبطن أربكها أكثر واقتراحه دفعها طوعياً إلى الأمام.

ظهرت جيسي عندما دخلا، بوجهها الشاحب، لطالما عايشتهم منذ نعومة أظفار جيما والآن عليها أيضاً أن ترحل. كانت تبكي وقد بدا ذلك جلياً. فهرعت إلى جيما وارتمت على صدرها: «أنتِ وأنا فقط يا جيسي.»

قالت بهدوء، والدموع في مآقيها: «نعم، يا حبي، علينا مواجهة ذلك، وعلينا أيضاً إيجاد مكان يأوينا.» ليس من

سر لا تعرفه جيسي، وضعها في البيت كان أكثر من مدبرة منزل، فهي من اعتنى بجيما ورباها.

«عليّ أن أبحث عن شقة يمكنها أن تاوينا نحن الإثنتين.»

أردفت جيما بيأس: «أما بالنسبة لراتبك...»

«إنسي الأمر، سأحصل على عمل وفي إمكاننا الإستمرار.»

«آه جيسي، وهل تظنين بأني سأدعك.» وانهمرت الدموع على خدي جيما، فتدخل جايمس ساندرسون بعد أن نفد صبره: «حضري لنا الشاي يا جيسي، سنكون في المكتب.»

كان عابساً متجهماً، ولكن هذا لا يمنع جيسي من منحه ابتسامتها المعهودة، لطالما أعجبت به ولكنها لم تستطع تغيير رأي جيما بالرجل الطويل الوسيم. إنه الوحيد الذي يناديها جيسي، وتعتبر ذلك إطراء.

لقد لمست الصلابة فيه، وبما أنها بدأت حياتها فقيرة، لذلك لديها إعجاب واضح به. «لن نجلس في هذا المكتب.» أشارت جيما بحدة بينما انطلقت جيسي بطاعة فورية. «إنه مكتب والدي، والآن لا أريد أن أدخله.»

«لو لم يكن ضرورياً لما اقترحته، علينا مناقشة أمور تتطلب السرية.»

«السرية، عن جيسي، لا يوجد أحد في المنزل سواها، وهي تعلم كل شيء.»

«ربما، كان هناك أمور لا تودين إطلاعها عليها.» للحظة سلط نظره عليها، وكانت عيناه الداكنتان لا تقاومان.

«جففي دموعك.» قالها بجفاء ومشى إلى المكتب تاركاً إياها تقرر أن تتبعه أم لا، كما ترغب.

هذا الأمر أغاظها، لا معنى لوجوده هنا، كانت ممتنة لإنقاذه لها، أما الآن، فعليه الإنصراف. لم يكن لديه فكرة عن مدى جرحها، لأن مثل هذه الأمور لا تعني له شيئاً. برحيل والدها، أصبح جايمس ساندرسون غير مرغوب فيه في هذا المنزل. حتى تهدأ الأمور ويباع المنزل فإنه ما زال منزلها، تبعته لتخبره بذلك ولكن شيئاً فيه جعلها تتلعثم، كان يقف ووجهه نحو النافذة، ينظر من خلالها إلى الحديقة ونحو الضوء الباهت خارجاً، وبنظرة قلقة تاملته. إن فيه قوة، مدمرة لم تترك لها المجال حتى للتفكير بالرجل نفسه. منذ اللقاء الأول كانت ترتعد لمجرد أن ينظر إليها، وتتحاشى النظر إلى العينين البنيتين العميقتين قدر المستطاع، أما الآن فإنها ترى بهاءً داكناً مرعباً، أخاذاً، نعمة رجولية.

العديد من النساء حاولن استمالته، ولطالما ظنت جيما بأنهن مخبولات. الآن، ولثانية مرت تظن بأنهن على حق. سألت نفسها، ترى كيف يتصرف مع الأشخاص الذين يحبهم؟ لقد أحب والدها ودعاه صديقه ولطالما ضحكا معاً، لم يرق لها ذلك حيث أنه سيتمكن من الاقتراب من عالمها، وهو خطر.

استدار فجأة وعيناه الداكنتان تتفحصانها مأخوذتين بالوجه البيضاوي الشاحب، والشعر العسلي الأشقر المعقوص بشدة على قمة رأسها، عيناها بدتا ذابلتين من شدة الحزن، وللحظات خالهما تفران من وجهها.

قال بفظاظة وهو مقطب الجبين: «يجب أن تاكلي.»

«لا أستطيع.»

«إلى متى؟ إن خسرت المزيد من وزنك سوف تتلاشين.»

رمقها بنظرة شاملة: «لقد وصلتِ إلى مرحلة الهزال.»

غاصت جيما في الأريكة وأناملها تتحسس جسدها وعيناها مغمضتان: «أريد حبة أسبرين، بدل الطعام.» كانت على وشك الاعتراف بصداع هائل عندما خرج من الغرفة، وهو يبتسم ابتسامة خبيثة.

أحضرت جيسي الشاي وكان جايمس خلفها: «إليك هذه.» أجفلها بوضع قرصين من المسكن بيدها، فرفعت ببصرها إليه وعيناها تضيقان لشدة الألم: «ما هذا؟»

«غير مضّرة.» قالها بخشونة ثم أضاف:

«ليس شيئاً، أنا اخترعته لأقتلك. جيسي أحضرتها من خزانتها عندما ذكرت لها صداعك.»

سكب الشاي وناولها فنجاناً: «إشربيه الآن.» تمتمت شاكرة وابتلعتهما وهي تشعر بالذنب وعدم الامتنان، إذ أن وجهاً من أوجه خطورته هو عدم تمكنك من التنبؤ بما سيفعل بعد ذلك.

تقدم منها وحلّ رباط شعرها، فانسدل الشعر الأشقر العسلي ليغطي وجهها. تمتم قائلاً: «شدّ شعرك بهذه الطريقة لن يساعد. دعيه ينسدل.» أضاف بخشونة بينما كانت تبعد شعرها إلى الخلف: «تناولي الشاي وبعدها نتكلم.»

«ماذا؟ أعرف الكثير. لقد شرح لي أبي كل شيء قبل وفاته. لا يوجد المزيد لتطلعني عليه، لم يبق شيء لأخسره. لقد خسرت كل شيء.»

«إذاً لم تعودي الفتاة الثرية الصغيرة» وافق بحنق وغضب من نبرة صوتها.

«هل تظن بأني أهتم.» وارتفع صوتها بينما انتفضت واقفة: «لقد رحل، رحل، لا شيء ولا أحد يمكنه أن يعوض عنه.» واستدارت لتخفي وجهها، ونقوس كتفيها لتغوص في عاصفة حزن عميق ولم تسترجع وعيها إلا وهي مطوقة بذراعين قويتين، ذراعي من كانتا؟ لم تعرف، كل ما كانت تحتاجه هو الأمان والأمن، فوجدت القوة والبأس جداراً حديدياً يطوقها.

لحظات مظلمة، وانهارت مقهورة، فتركها على سجيتها، ممسكاً بها ثم استفاقت لتعود إلى واقعها المرير. «أنا... أنا آسفة.» ما من داعٍ لذلك الأسف، إنه جزء من مداواة الجراح. فانزل نظره إليها ويداه ما تزالان تطوقانها، فأحست وكأنها فراشة علقت على بطاقة. لم يلمسها من قبل سوى للمصافحة عندما دعاه والدها للزيارة، أما الآن فإنها تلمس قوته، وضعفها. لم تقو على الإبتعاد حتى حررها من بين يديه، شعور غريب يجري في شراييها.

«كم عمرك يا جيما؟»

«أربعة وعشرون عاماً.»

قال متعجباً: «أربعة وعشرون وتبدين هكذا؟ ما خلتك إلا في سن الخامسة عشرة، توفيت والدتي في سن التاسعة والثلاثين وبدت حين ذاك إمرأة عجوزاً.» حررها من يديه واستدار، بينما هي ترقبه بعينين دامعتين. «وكم كان عمرك حينها؟»

«تسعة عشر، كنت في الجامعة، لم أعد بعد ذلك إلى المنزل، لحسن حظي أنا وحيد، لا مسؤوليات على عاتقي.»

«ووالدك؟»

«أبي كان مدمناً على الشراب وعنيداً متمرناً.»

«أنا... أنا آسفة.»

«حقاً؟» استدار ونظر إليها، وجهه قاسٍ، كما كان يبدو دائماً حين ينظر إليها. من غير المعقول أنه أخبرها عن ماضيه، والأكثر غرابة، أنه ما زال يؤنسها برغم إحساسها بأن لا شيء يخدش أسلحته.

«لا تشفقي عليّ يا جيما، كان هذا في الماضي، حين كنت فقيراً، لقد نسيت، ربما ذكرتني به دموعك، لا صبر لي على الدموع.»

بدأت مدافعة: «لا حاجة لك في البقاء ومراقبة دموعي.»

أجابها: «إنها تذرف على رجلٍ أحببته، متسامح، وعلى أي حال، كان شريكي. أدين لك بمسؤوليات.»

ثم جلس وأوما لها بالجلوس: «إجلسي وأكملي فنجان الشاي، بعدها نتكلم.»

«عن أي شيء يمكن أن نتحدث؟» جلست ودفعت بخصلات شعرها إلى الخلف بحركات عصبية، كل ما في داخلها وصل إلى نقطة الغليان.

«لقد تدبرنا أمورنا بطريقة حسنة حتى الآن.» تابع بسخرية أنا أعرفك جيداً، على الرغم مما قلته لي في السنتين الماضيتين.»

«إذاً، الكلام قد قيل الآن.» واخفضت بصرها لتتحاشى النظر في العينين الداكنتين: «ليس هنالك أي شيء آخر للمناقشة.»

«بالطبع، يوجد.» أكد لها بحزم ثم استطرد:

«نحن هنا لنناقش موضوعك.»

www.elromancia.com

«أنا؟» ونظرت إليه بسرعة وعيناها تضيقان: «أنا لا شيء بالنسبة إليك، لا مسؤوليات على الإطلاق، أنا لست بطفلة تحتاج لرعاية، وعلى أية حال، والدي كان شريكاً في «ساندرسون ـ ليل. مجرد إشارة لقلم في جعبتك الكبيرة.» اتَّصَفَ صوتها بالحرقة والألم وهي تدرك ذلك، والآن، مع كون الشركة لا علاقة لها بها، فإنها شبه أكيدة بأن الإسم قد اصبح «ساندرسون» فقط، جايمس ساندرسون يسيطر على كل ما تطاله يداه.

تمدد في جلسته ومد رجليه الطويلتين القويتين وبدا مرتاحاً، بينما هي تجلس متقوقعة على حافة الأريكة متوترة، تأملها لدقيقة، بإمعان، حتى استشاطت غيظاً. الشفتان القاسيتان المؤثرتان زمتا فجأة للطريقة التي كانت تنظر بها إليه، مدهوشة من سلطته، بالرغم من حقدها المتأصل عليه.

سأل ببرودة: «ما هي مشاريعك؟» برغم اقتناعها بأنها يجب أن تخبره بأن يهتم بشؤونه ويدعها، لكنها لم تستطع. كان شريك والدها، على أي حال، عندما تصفي حصتها، من الشركة، سيجري جايمس ساندرسون اتصالاته وجولاته ليأتي بشريك يمكنه العمل معه، مع أنه يملك معظم الشركة الآن.

«سأبقى هنا حتى يباع المنزل، قدر ما يسمحون لي، في الوقت الحاضر سأبحث عن شقة تناسبني مع جيسي. يجب أن تكون في لندن، لأني لا أتحمل مصاريف التنقل بالقطار كثيراً لفترة.» ومدت نراعيها بطريقة بدت معها قلة حيلتها.

«لا أعلم إلى متى سيستمر الأمر قبل أن يبدأوا بتصريف الأمور، أعني...»

«أتعنين أنك لم تعاني في حياتك من أمور وضيعة.»

فانتفض رأسها لهذا الإستهزاء: «أتتوقع بأني مررت بتجربة كهذه؟ أنا، المرهفة!» وامتقع وجهها غضباً بينما هو نظر إليها بثبات دون تأثير.

«حقيقة، أنتِ لم تعاني من أي شيء على الإطلاق، نهم الصحافة كله كان مضيعة للوقت، فقط لأن إسمي مقرون بالشركة، لو تعلق الأمر بوالدك فقط، أنا واثق بأن وفاته لم تكن حتى لتنكر. والحال هكذا الآن، سيكون لوفاته يومان من الوهج، فأسرار باري وطريقة حياته ربما ستنشر، ومن المحتمل أن بعض النساء اللواتي عرفهن سيكن مستعدات لبيع قصصهن إن كن يبحثن عن الشهرة، ولكن الحقيقة ستضع حداً لذلك. ديون والدك قد سددت ولن يحدث شيء آخر.»

«ماذا تعني؟» لم يكن رجل نكتة، ولكنها لم تستوعب ما قاله، فهز كتفيه غير مبالٍ: «قبل وفاته بأسابيع، أراد والدك أن يراني، كما طلب أيضاً، دانبي، مستشاره القانوني، لقد أنجزنا العمل. ويوم وفاته أتينا أيضاً لنتمم ما بدأناه.»

«ماذا تقصد؟» وارتعبت ثانية لعدم تمكنها من ادراك المقصود.

«لقد اشتريت حصة والدك في الشركة، والشيكات قد حررت، لم يعد هنالك ديون.»

«حتى هذا لم يكن كافياً.»

«لقد اشتريت المنزل أيضاً، «الدروب الساطعة» ملكي الآن.»

«فعلتها إذن، نلت أخيراً كل شيء.» واعترتها قشعريرة

باردة وانتفضت واقفة وأصبح لون وجهها أبيض كالورق.

«لحظة رأيتك عرفت أنك انسان خطر، ولكنه لم يستمع إليّ. كنت تدرك مجرى الأمور، ولكنك انزويت وتركتها على ما هي عليه منتظراً فرصة الإنقضاض. الآن حصلت على كل شيء، وهو مات.»

لم تدرك ما كانت تتفوه به حتى رأت فورة الغضب على وجهه، فوقف منتصباً ورمقها بنظرة باردة كالثلج. «كوني حذرة لطريقة كلامك معي، يا آنسة ليل، أنا لست متخصصاً بانية الناس. ماذا فعلت؟ هل اشتريت مركباً يدعى «حلم العالم؟» هل أنا من عرفه على معظم نوادي الميسر على البحر الأبيض المتوسط؟»

خجلت جيما من نفسها، وأشاحت بوجهها متألمة، ولكن جايمس امسك بكتفيها وأدارها لمواجهته: «نعم، إنه الجرح الدامي، أليس كذلك؟ النساء!»

«كانت والدتي جميلة.»

«مثلك!» أكد ذلك وأضاف:

«أعلم ذلك، باري كان يضع صورة لها في كل مكان يذهب إليه، على مكتبه، في العمل. هنا...» وتوجه نحو طاولة المكتب وفتح الدرج الأول تلقائياً، ثم أخرج إطاراً فيه صورة ووضعه بيدها وتنهد: «ماذا لين أعرفها، أراها كلما نظرت إليك، توفيت من زمن، ولكن ليس بالنسبة له. يا إلهي! أن يحب الإنسان إمرأة بهذه الطريقة، هو أن يحكم على نفسه بالعذاب مدى الحياة.»

«إذاً، ولم النساء؟» وتنفست جيما الصعداء ونظرت إلى

الصورة، الوجه ذي البسمة الرقيقة، الشعر المشع الناعم، أما جايمس فاستدار مستاءً،

«نوع من تخدير الأعصاب، بالتأكيد لم يكنّ يعنين له شيئاً. كان هنالك ماذا لين وأنتِ. بالتأكيد كان يراها من خلالك، وأتخيل أنه بين الحين والآخر كانت الأمور تتبدل.»

استدار ثانية ليواجهها: «ما من داعٍ لهذا الكلام الآن، فباري لم يكن يدرك مدى خطورة مرضه إلا بعد فوات الأوان، فقلق عليك، قلق للغاية في الواقع، فكان بيننا اتفاق، وقد وافقت على ثلاثة شروط. أولاً، الشركة ستبقى تحت إسم ساندرسون ـ ليل» ثانيا، ستمكثين في «الدروب الساطعة»، طالما رغبت بذلك..»

صرخت جيما بحدّة: «إن لم أرغب» فبعد الثراء والحياة الرغيدة، اصبحت الآن فقيرة، لا تدري ما ستفعل أبداً، والخجل من افتضاح وضعها أمامه بهذا الشكل صبغ وجهها احمراراً، وأثار موجة غضبها. «إنه لكَ الآن، أنت تملك كل شيء، ساغادر غداً.»

فتلعثم وانزعج وارتبك لكل ما ذكرت: «لقد ذكرت لكِ حين دخلنا، بأن الأمر يعود لك.»

«ما هو الشرط الثالث؟ عليّ أن أعرف أيضاً» ورفعت رأسها بفخر لتواجهه بينما في الواقع أرادت الهروب.

«الشرط الأخير يعود لك، كان يريد المستقبل لك، المستقبل الحسن، لقد وافقت على الزواج منك.» ذكر ذلك ببرودة وصراحة، والاستخفاف بدا جلياً، وللحظة ظنت بأنها لم تسمع جيداً ما قاله، فنظرت إليه مذهولة لا تفكر بما قال وقد شلتها المفاجأة.

«أنت... وافقت...»

«هذا يناسبني.» اجابها من دون انزعاج وبوجه خالٍ من أي تعبير. «لقد أعطيته هذه الراحة في نهاية أيامه، ولم يكن لديّ اعتراض واضح.»

الهلع، الإهانة والقلق غمرتها، وبدا على وجهها كل ذلك جلياً، فتراجعت إلى الوراء بعيداً عنه وتأوهت بصوت خافت، ثم وقعت أرضاً مغمى عليها. وعندما استفاقت وجدت نفسها ممددة على الأريكة وجايمس جالساً بقربها يراقبها بعينيه الداكنتين اللتين بدتا وكأنهما تسبران غور روحها.»

هناها باستهزاء: «نقية دون ضجيج، ولا صراخ، إنسي الآن، سأحاول توضيح الأمر في مقابلاتنا الحرجة التالية، لأنك فعلاً اذهلتني» أضاف بقسوة: «تبدين وكأنك تأكلين ما تبقى من فتات العصفور الدوري.»

وقف وصب لها شراباً منعشاً، وعاد ليناوله لها، ولكنها بدت غير قادرة حتى على تناوله من يده. «أين شجاعتك؟» أضاف بنبرة حادة: «إن لمست يدي صدفة لن تجبري على أي شيء البتة.» أخجلها كلامه فتناولت الكأس، ولشدة رعشة يدها اهتز الكأس بيدها فتناوله منها بعد أن نفد صبره وساعدها على الجلوس مستقيمة لتتمكن من احتساء شرابها. وقالت له: «لست مجبراً على هذا.»

وافقها بغيظ: «لست مجبراً على عمل أي شيء. وأيضاً لنفترض نظرياً، ان في إمكاني رميك خارجاً في الظلام وأرغم جيسي على البقاء.»

«أرجوك، كن جاداً» ولمست يده بهدوء دون تفكير، فنظر

بجفاء إلى الأنامل الناصعة البياض على بشرته الداكنة، مما جعلها تسحب يدها بسرعة: «أريد النهوض.»

«حسناً، ولكني أحذرك، عليك البقاء ممددة على الأريكة في مكانك لفترة، تبدين منهكة.»

«هل فوجئت؟» وأنزلت قدميها نحو الأرض وبقيت جالسة مكانها بينما أطلق هو ضحكة قاسية: «كلا، لم أفاجأ، التمهل في إعطائك توضيحاً مضيعة للوقت، أنا لست كما تظنين بي قطعاً، يا جيما، لقد مررت بمتاعب لسنتين، مما لا يسهّل الأمور، وأنا بالتأكيد لست كما تظنين بي.»

«ولماذا إذاً لا تزعج نفسك بالإفصاح عن ذلك؟»

«لأنني أعطيت كلمتي، كما أخبرتك قبل أن تخرّي أرضاً بلا وعي، الوضع يناسبني.»

«كيف يناسبك؟ أنا لا استلطفك ابداً، كيف سأقبل؟

«أنظري!» واستدار حولها فجأة حتى أنها قفزت من مكانها. «أنا في الخامسة والثلاثين، ناجح، ثري وغير متزوج. أود العيش في «الدروب الساطعة»، هذا المكان لطالما أغراني، ومن الطبيعي، أريد مضيفة، ورأيتك دائماً تقومين بهذا الدور، ولن يتفوق عليك أحد.»

«لا أظنّ بأنك تدرك فعلاً ما تقوله. الناس لا تتزوج لهذا السبب.» وافقها ببرودة: «إنهم يتزوجون للسبب الذي من أجله تزوج والدك من مادلين، «الحب الأبوي» عدا عن أنه غير موجود لأسباب عدة. كانت البداية قاسية يا آنسة ليل، وليس عندي الرغبة بنهاية قاسية، إنه اتفاق عمل، جزء من الصفقة التي عقدتها مع والدك، لا حب ولا حزن، أردت زوجة جميلة، تقدر الجمال، تعودت على الثراء وتقدره،

ستحصلين على كل شيء تريدينه. ستنالين الرفاهية والأمان، وستحصلين على إسمي، ولكن بدوني...» صرخت جيما: «لا اريدك، اكره رؤياك.»

«لماذا؟» سؤاله المفاجيء أذهلها واحمر خداها برقة: «كيف لي أن أفسر شيئاً كهذا؟ إنه غريزي. ميزتك... بطريقة ما. أراك بوضوح كما أنت.»

«وما أنا عليه، جيما؟ أعرف بأني تافه وقاسٍ.»

«لم أقل هذا، وحتى أني لم أفكر به.»

«إذاً، ولم الكراهية؟»

«أنت خطر، عرفت ذلك منذ رأيتك، وأراه الآن.» وإذا بها تنظر بعمق في عينيه، فرجع وجلس قربها وعيناه الداكنتان تتفحصانها، وليضايقها أخذ يمرر أنامله الطويلة على صفحة وجهها. «أنت خيالية، يا آنسة ليل، خيالك جامح.»

«لديّ حس قوي بالوقاية الشخصية.» وأشاحت بوجهها، محمرة الخدين ثانية، أكثر من ذي قبل: «لم أكن أريد الكلام عن هذا، إن لم يكن لديك مانع، وعلى أية حال.» ثم أضافت بعد أن طرأت لها فكرة: «ماذا عن الآنسة بريسكوت...؟»

«أتعنين حبيبتي؟ لا تخافي، افيضي مما عندك، فالكلام القاسي لا يضر بروما.»

الفصل الثاني

لم تتخيل جيما بأنها تتمكن من ذكر ذلك، ولكن الصحف تناولت مؤخراً العلاقة بين روما بريسكوت وجايمس، روما، صاحبة شبكة من دور الأزياء الناجحة. أنثى أخاذة، لامعة وحادة كحقيبة مملوءة بالشفر الحادة، مآثرها في عالم الأعمال اذهلت الصحافة، لا تبدو كمن يمكن أن يتاثر بشيء.

«لست مهتمة بأذيتها، ولا بأي شيء بهذا الخصوص، اريد فقط ان اصحو لأجد أن كل هذا كان مجرد كابوس مزعج.»

«لا عجب في أن والدك كان شديد القلق عليك» قال جايمس معلقاً ونهض ليبتعد عنها: «أنتِ فعلاً غير معقولة! كيف ستتمكنين من الاستمرار؟ لم تمارسي الحياة العادية في حياتك، ستأخذين شقة في محيط متواضع وتؤثثينها بأثاث مستعمل.»

«لديّ هنا أثاث.»

«نعم يوجد، ولكنه لي. لقد أعلنتِ أن البيع لا يغطي الدين وكنتِ محقة. اشتريت الأثاث أيضاً. التحف ثمينة، استطاعت أن تغطي كل شيء.»

همست قائلة: «إذن، ليس لدي أيّ شيء.» فاستدار حولها لينظر إليها.

«في إمكانك أن تأخذي ملابسك، إن وجدتِ شقة كافية لتضعي فيها خزائنك الرائعة الكبيرة.»

قالت بضيق: «لا علم لك بخزائني أو بطريقة حياتي.»
فارتفع حاجب أسود من حاجبيه عالياً. «لقد تتبعت نشاطاتك، المسرح والباليه، العشاء والرقص مع الصحبة الراقية.»

نظر إليها باستهزاء: «أتظنين بأنك ستستطيعين العيش في شقة بلندن؟ ثم ماذا؟ وظيفة؟ أي نوع من الوظائف؟ كل ما تجيدينه هو أن تظهري جميلة وكيف تكرمين ضيوفك ورفاقك، في إمكانك الإستمرار لأسبوع، كمن يرمي بنعجة للذئاب، فتاة بريئة صغيرة في مدينة سيئة كبيرة.»

«ليس لديك أي فكرة ان كنت...» وتوقفت محمرة الخدين خجلة وبدا مستمتعاً: «بالطبع أعرف. قلتِ إنك تلمحين الخطر على وجهي. وأنا أرى البراءة فيك، وعلى أية حال أعرف كل شيء عنك، يا جيما، سمعتك نقية كالثلج.» وقف ثابتاً ونظر إليها بتقدير: «لم تستمتعي بالحياة بعد، أليس كذلك؟ أحاط باري بك ولم يدعك تعيشين الحياة. كان يريد صورة حية لمادلين أمام ناظريه، وعندما اشتد عليه الأمر رحل ببساطة وتركك في قبضة أخرى اكثر اماناً ليقينه بتأمين حياة آمنة لك، وبرغم ذلك رحل حزيناً، لأنه لم يؤمن مستقبلك.»

«لقد احتقرته، أليس كذلك؟» قالتها جيما بجدية، لكنه هز رأسه نافياً وتابع النظر إليها: «كلا، لقد احببته، واتخيل أنه عرف من اعماقه بأني سأبحث في امرك. أرأيتِ يا جيما، كان هدفي دائماً أن أتزوجك، منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها.»

حدقت جيما فيه لدقيقة. وجهها ما يزال شاحباً. هل هذا

هو الخطر الذي احست به غريزياً؟ هل هذا هو سبب ملاحقة هاتين العينين الداكنتين لها حينما يأتي إلى المنزل؟ بالطبع لا، إنه فقط يبسط الأمر لصالحه. الكرامة وحدها ستخرجها من هذا المازق.

قالت بهدوء: «شكراً. اعرف أنك مهذب، وسابسط الأمور عليك. لسبب ما وعدت أبي بالزواج مني والآن تريد أن تداري الأمر بكلام مدروس. لا تزعج نفسك، سأتدبر أمري وستكون جيسي معي و...»

جلس على الكرسي المقابل وبدأ يضحك والعينان الداكنتان تتراقصان ببهجة للبرودة والكرامة البريئة، لم تره يضحك هكذا من قبل، وقد انار الضحك وجهه وجعل منه شخصاً آخر. قال لها: «أنت لا تقدرين بثمن، يا جيما ليل.»
قالت جيما بتذمر: «كنت سأشكر لك جهودك.» مما زاد من استمتاعه علق مستهزئاً بهدوء: «فلبست قفازيها ومضت. اسمعي ايتها المخلوقة النادرة، اريد زوجة، ولقد اخترتك منذ زمن، لسنتين خلتا في الواقع. كل ما أنتِ عليه يناسبني، أنت جميلة، نقية، موهوبة، ولديك كرامة تكفينا نحن الاثنين. ليست بفكرة جديدة. لقد صرّحت بذلك لوالدك منذ مدة تزيد عن السنة.» وامتعض وجهه بانزعاج، وتابع: «والدك لم يكن عصامياً، لقد اعطيت نبذة عن تاريخ عائلتك، بطريقة لائقة طبعاً. لم تكن عائلة ليل عصامية ولكنها وارثة.» ونظر إليها بتمعن وأردف قائلاً:

«هناك أيضاً اللورد وليام، العزيز بيل. كما كان يقول والدك، عندما كان يرافقك، واعتقد بأن والدك سمح لك بذلك ربما طمعاً بلقب. على أي حال لم أعر ذلك اهتماماً، ولكنه

استبعد ذلك من اعتباره، عندما أدرك أنه سيتركك مجروحة. أنا لم اتخل عن نواياي لأنه مع أو بدون موافقة والدك كنت سأتزوج منكِ.»

حدقت جيما به لدقيقة ورمقها بطرف عينيه الداكنتين باعتزاز، لم يكلمها قبلاً هكذا، ولم يبد عليه أنه ينوي الزواج منها. إلامَ يرمي الآن؟ قالت جيما بحماس: «أريد توضيحاً لذلك. لدقائق مرت قلت إنك تريد مضيفة، والآن تلمح إلى الحب.» سألها دون توقع: «هل تحبينني؟» أجابته: «لا تكن سخيفاً! أنا حتى لا استلطفك، لقد اعترفت بذلك.» واسترخى على مقعده ناظراً إليها نظرة طبيعية: «إذاً لنكن منطقيين. لقد أعلمتك لماذا أريد زوجة، واوضحت أنك الأمثل، تريدين خلفية كالتي نشأتِ عليها؟ أستطيع أن أوفر لك ذلك، يا جيما.»

«لديك ثقة كبيرة بنفسك يا سيد ساندرسون، وجلي أيضاً أنك تستخف بي. أعلم أنك مقتنع بعجزي عن القيام بأي شيء. ولكنني لست بسيدة من العصر الفكتوري تجلس إلى نولها وتنتظر من رجلها أن يهتم بكل شؤونها.» وتبسمت ببطء وملامة.

«سيدة من العصر الفكتوري تشبيه سخيف. أعلم أنكِ غير قادرة على الدفاع عن نفسك. اهتماماتك إجتماعية فقط. لقد سيّجتِ باللطافة والنعومة طوال عمرك، الكثير من المشاعر والعاطفة في الواقع توهن القوى، والآن قد فات الأوان لكي تقفي على قدمين ثابتتين. كوني منطقية، ستقيمين في منزلك، كما تعودتِ، جيسي سترعاكِ، وأنا أيضاً.»

أجابته بسخرية: «لا اتخيلك قادراً على رعاية احد. أنت لا

تحتاجني وأنا لن اكون مدعاة لشفقة أحد في منزلي. لن أمثل دور المضيفة وفي اصبعي خاتم وآخر في أنفي أيضاً، كما يخيل إلي من اقتراحك.»

«ليس اقتراحاً، يا جيما، بل طلب، أنا رجل غني جداً، حتى دون الشركة، لقد بنيت امبراطورية أعمال، أريد وريثاً.»

وقفت جيما ببطء وحيرة، ووقف هو أيضاً يرمقها بتمعن وقالت له: «لقد قلت... قلت دون حب، قلت انك لن تشعر كما شعر أبي» وفجأة بدت خائفة، مناقشتهما حتى الآن غير طبيعية. ثمة شيء في عينيه حتى هذه اللحظة ما زال غامضاً، لم يكن واضحاً حتى الآن وبدأ قلبها يخفق بشدة وكأنه سيخرج من صدرها.

أكد لها دون تردد: «لن أفعل ابداً. الحب ليس ضرورياً على الإطلاق، مصيدة لا تصلح لي. رأيت أمي عالقة بها، ورأيت أيضاً أباكِ.»

همست جيما: «ليس لأمي ذنب بموتها.» أجابها: «لقد أضاعت حياته، نوعاً ما، وحياتك أيضاً. ما من امرأة تأخذ حياتي ثم تسقطها بتركي وحيداً، بأي طريقة.»

أضافت باستخفاف: «إذن لديك البديل الأفضل.» هذا يكفي الآن أريد المزيد، أريد هذا المنزل وانتِ فيه، كما رأيتك لأول مرة، أريد أن امتلك هذا الجمال البارد. أريد طفلاً عيناه كعينيك وشعره كشعرك، عسلي، أريدك..»

أطلقت صرخة خفيفة وقامت تركض خارج الغرفة ولكنه امسك بها من ساعدها وضمها إلى صدره ليهدىء من روعها: «كان في استطاعتي استمالتك» وتابع بغضب:

«استطيع أن أضمك بين ذراعي حتى تتلاشي، ولست بحاجة للحب لأفعل ذلك. لا تعرفين شيئاً عن الرجال، باري، أراد ذلك أليس كذلك؟ كان يخشى فقدانك. حتى النهاية كان سعيداً بتقديمك لي لأنه يعلم لماذا أريدك. ظنّ بأني سأحبكِ وأصونك مثل تحفة صينية، اتركك في غرفتك القديمة وأبتسم لك عبر مائدة الإفطار، ربما لمست يدك وأسعد بأني تزوجت من واحدة من آل ليل. لو علم بما أرغب لكان ترك الأمور على سجيتها لأنه يعلم بأن أحداً لا يرغب بدميته الصينية، صغيرته مادلين.»

همست قائلة وجسدها يرتعش: «أنت تكرهه.»

اجابها: «كنت أفهمه.»

وفجأة أجهشت بالبكاء بحرقة وألم والدموع غمرت وجهها الشاحب فجّرت لوعة قلبها: «اليوم دفنتُه.» فهمس بكلام لم تتبين ما إذا كان اعتذاراً أم شفقة ثم حملها بين ذراعيه ومشى نحو الباب، وزنها الخفيف لا يساوي شيئاً بالنسبة لقوته. صرخ لمرة واحدة: «جيسي» وعلى الفور كانت جيسي هناك مندهشة وعيناها دامعتان: «تعالي لتضعيها في فراشها. كفاها ما لاقته.» صعد السلالم الواسعة المرتفعة حاملاً جيما بانتباه بينما تحاول السيطرة على موجة البكاء التي اعترتها، وجيسي هرعت في المقدمة لتفتح باب الغرفة وقال: «إمنحيها دقيقة لترتاح ثم اطعميها.» قال ذلك بذات اللهجة الآمرة: «يجب أن تأكل قبل أن تنام. لو بقيت على هذه الحال ستنقل إلى المستشفى.» رؤيته في الطابق العلوي من هذا المنزل وسماعه يصدر أوامره، حوّل المنزل إلى حقيقة واقعة، ألا وهي امتلاكه كل

شيء، وسيطرته على كل شيء، وجيما كانت صامتة، بينما جيسي تبدل لها ملابسها، كان يدمّر وجودها. عليها بالهروب وعدم رؤيته ثانية، لم يكن الأمر بهذه السهولة.

جاءتها جيسي بقليل من الحساء وقطعة خبز عليها بيض وإبريق من الشاي، كانت تلهو بها عندما سمعت طرقاً على الباب وبكل بساطة دخل جايمس. قالت مدافعة: «حتى الآن هذه غرفتي. إلا اذا كانت رغبتك رمينا خارجاً في الظلام!»

صرخ قائلاً: «كفى تفوهاً بتفاهات» وتقدم ناظراً إليها: «ليس في نيتي أن أراكِ تتركين هذا المنزل وأنتِ تدركين ذلك جيداً. جئت لأرى إن أكلتِ شيئاً، أرى أنك بتلت أماكن الصحون قليلاً» ثم أضاف متأملاً الصينية: «لقد ارتحت لتناولك الحساء كله، إن تابعت على هذه الحال، سانقلك إلى المستشفى.»

«ما أفعله لا دخل لكَ به على الإطلاق.» قالت جيما بحزم والفضول يزداد في تصرفاته. شعرت بأن فخاً قد اطبق عليها، كل ما في داخلها يدفعها لأن تحاربه الآن أو أن تستسلم، ولكنها منهكة وحزينة.

قال بحدة: «كل ما تفعلينه هو من شأني.» وأخذ الصينية ووضعها على منضدة قرب السرير وتقدم ليجلس بقربها مما دفعها للإبتعاد بدهشة: «لو سمحت، إذهب» كان يفزعها أكثر وبدأت حرارتها ترتفع ونظرت إليه بعينين واسعتين مضطربتين.

قال متذمراً: «لا تخافي مني. اتظنين بأني أخطط لاغتصابك، وأطلب من جيسي أن تهتم بشؤونها فقط؟ صدقيني لا داعي لأن استعمل القوة.»

وافقت جيما: «أنا متأكدة من أنك لن تفعل.» وكان وجهها يشتعل احمراراً وحياءً حين تابعت:

«قصص غرامياتك ملأت الصحف طويلاً على ما أذكر. أكون جاهلة إن لم أكن أعلم مع من تقابلت لسنوات خلت، عندما دخلت الآنسة بريسكوت الساحة، اعطوا نبذة عن ماضيك.» أجابها بلهجة ناقدة: «كان في إمكانك طي الصفحة بسهولة، بالتأكيد لست مجبرة على القراءة عن حماقاتي.»

«لست مهتمة على الإطلاق! شيء فاضح، لذلك، يصعب تفويته.»

ابتسم بدهاء. وقال: «لا تصدقي كل ما ينشر في الصحف» وأضاف برقة: «الكثير من النساء سعين لإلصاق اسمائهن بي للشهرة. فهذا يفيدهن، وعند هذا اتخلى عنهن.»

«الجميع يعرف برودتك.»

«السيدات يفكرّن هكذا، أو ربما تظنين لأنه لدي المال؟»

«طبعاً.» كانت كاذبة، كانت تعلم أن هنالك نساء يسعين وراءه ليس لماله بل لأنه كان ديناميكياً فالجاذبية المخيفة تختبىء خلف الوجه الغامض.

حتى اليوم لم تكن تعلم ذلك، لأنها كانت بعيدة عنه قدر المستطاع متجنبة نظرة عينيه، تغيّر اتجاهها عندما يكون هو متجهاً نحوها في كل مناسبة اقيمت في «الدروب الساطعة» كانت تقف على بعد مسافة ذراع منه.

الليلة ارغمها على النظر إليه، اجبرها على مواجهته، وكانت أكثر خوفاً مما مضى، ليس من قوته، بل من الرجل نفسه.

سأل بانزعاج: «إنك تحدقين بي لتبحثي عن ألغاز؟ تريدين أن اثبت لك بأنه لم يكن فقط لمالي؟»

قالت وهي ترتجف: «أنت لا تحتمل. لقد لمستَ مني السلبية، وتظهر الآن على حقيقتك.»

«أنت لا تدركين من أنا يا جيما» أكد لها برقة وعيناه تغمرانها بنظرات فاحصة، ومما أراحها، أن قميص نومها لم يكن شفافاً. الحرير الأبيض ستر معظم جسدها، ولكن عينيه لمحتا نبضات عنقها، فابتسم ثانية إبتسامته الغامضة وهمس: «فتاة بريئة، كان عليّ أن أتوقع بأنك تنامين بالأبيض.»

قالت بصوت أعلى بقليل من الهمس: «أرجوك أرحل. لا يحق لك أن تصعد إلى هنا.» ورمقها بنظرة داكنة: «لطالما أردت الصعود يا جيما الصغيرة الخائفة، خائفة من الحياة، محمية لدرجة الجهل وعدم المعرفة، لم يقدم لك باري أي فضل، حقاً.» أعاد نغمته السابقة، هنا ومعه في غرفتها يبدو الجو عاصفاً، بينما خارج الغرفة يسود الصمت والهدوء كما كان دائماً.

«لن أراه ثانية» همست بالكلمات وأغمضت عينيها فتلألأت الدموع من خلال اهدابها الكثيفة.

اجابها: «إنه يراكِ.»

لم تكن تتوقع ذلك، شفافية مدهشة تخرج من شفتي شخص بارد بديناميكية، عديم الشعور، حتى أنها فتحت عينيها لتحدق به، وكأنها تحدق ببحيرات من المرجان منقوشة بالذهب، نظرته الداكنة التقت نظرتها لتغرقها ثم تنتشلها ولم تستطع أن تنجو منها.

سألها برقة: «لنفترض أني وعدت بإسعادك؟»

«لا يمكنك فأنا أكرهك، أكرهك لأنك أخذت مني كل شيء، لأنك اقحمت نفسك في حياتي. كيف يمكنك أن تسعد أحداً؟ أنت لست حتى حقيقياً، ما أنت إلا قوة عاصفة.»

مرّر نظره عليها وارتعدت حين مد يده ببطء ليلامس بشرتها واستقرت انامله بخفة على نبض عنقها وكأنه يريد أن يستطلع خفايا افكارها. «إذاً، فلن أعد بشيء» أكد لها بهدوء: «ببساطة سأنتظر، حتى الآن انتظرت سنتين، ستأتين إليّ يا جيما لأنك بحاجة إلي.» وقف ونظر إليها من عليائه بنفس النظرة الداكنة التي تعودتها وتابع: «في الوقت الحاضر سأجري ترتيباتي، الليلة، بعد إذنكِ سأنام في الدروب الساطعة، سيبقى الرجال عند المداخل حتى الصباح، على كل حال لديّ أسبابي لأبعد الصحافة. إخلدي للنوم، لن يزعجك أحد.» خرج واغلق الباب، وبقيت جالسة بشرود، كان كل شيء يزعجها، حتى هو يزعجها. كل كلمة أو تصرف لم يكن متوقعاً، سيطرته ما تزال تملأ الغرفة. أطفأت المصباح وتمددت على الفراش بينما عقلها متوتر. «آه يا أبي! لماذا؟» همست بكدر، مهما فعل لا يمكنها لومه، كان تحت سيطرة رجل ديناميكي داكن ولا يمكنها أن تلوم إلا جايمس ساندرسون.

امتدت يدها المتعبة وتناولت الصورة الموضوعة إلى جانب السرير. لم تكن في حاجة لإضاءة النور كي ترى وجه أمها الجميل: هل هي حقاً كما قال؟ دمية صينية؟ نموذج صوري لأمها؟ فتدفقت الدموع على خديها، ثم راحت في سبات عميق.

في الصباح الباكر نهضت جيما على سماع اصوات مصدرها الباب الرئيسي، فهرعت لترى ما هناك. هناك سيارة امام السلم الأمامي وأربعة رجال يتكلمون مع جايمس مما زاد الشعور بالمراقبة، ليس فقط من الصحافة.

كان جايمس بكامل لباسه ويستعد للمغادرة إلى المدينة، وقف وقفة رجل أعمال ثري، يداه في جيبيه وسترة بدلته الداكنة إلى الوراء.

لم تتمكن من سماع ما يقول، ثم ارتفعت يده لتصرف الحضور، بينما الرجال انصاعوا للأمر. إنه يأمرهم بحراسة المنزل وكان لديها الإحساس المزعج بأنه سيحتجزها.

ارتدت ملابسها بسرعة ونزلت السلالم، مهم جداً أن تكون في الساحة لمواجهة أية مخططات أخرى قبل أن تصبح الأمور واقعاً، لسنتين خلتا كانت تتجنبه في المنزل والعمل، أما الآن فلا يمكن تجنبه أو تجاهله.

كان هنالك أصوات في المطبخ أيضاً ولكنها تجاهلتها، غير مهتمة بمن يكلم جيسي، فتحت باب غرفة الطعام وجلست لتتناول قطعة خبز طازجه. وسكبت فنجاناً من الشاي المعد للتو.

«حسن أنك استيقظتِ، أريد التكلم معك قبل أن اغادر إلى المكتب.» دخل جايمس الغرفة ونظر إليها قبل أن يجلس ويتناول فطوره: «الحراس الجدد قد وصلوا اليوم، جيسي تطعم الآخرين وسوف اعيدهم إلى لندن بطريقي. الصحافة عسكرت خارج الأسوار، لا تغادري الأملاك، وفي الواقع افضل أن تبقي في المنزل، أكدت لي جيسي أن لديها مخزون وافر.»

«لا أظن أني قادرة على الخروج، اليوم، ولكن مستحيل أن ابقى مختبئة فانا أدين لأبي بمواجهة الأمور.»

قاطعها ببرودة: «لا تدينين لأحد بشيء اطلاقاً. من الآن فصاعداً اتخذي قراراتك، بالنسبة للخروج، تريثي ليومين. قبل انقضاء هذا النهار ستعرف المدينة من يدير «ساندرسون ـ ليل» ولن يتحدوني، تعودت أن أرد عندما أستفز. سأصدر تصريحاً لتهدأ النفوس، الحرارة ستخبو ومعظم المحررين سيخففون من تعليقاتهم، أما أنتِ فلا تظهري قريباً... لا تفعلي شيئاً من هذا القبيل.» أضاف جازماً: «استخدمي المنزل، فهو لك.»

قالت بحزن: «لن أبقى هنا معك.» وقاطعها مرة ثانية بنظرات ساخرة: «لا أذكر بأني قلت ذلك في الوقت الحاضر سابقى حيث انا في شقتي. كل ما عليك فعله هو أن تفكري بصواب وتاكلي جيداً.»

قاطعته جيما: «ليس لديّ شيء افكر به.» فنظر إليها بامعان مما دعاها لأن تشيح بنظرها.

قال بصراحة: «أريد الزواج منك وكل التفاصيل ذكرتها أمس، إلى أن تقرري لديك هذا المنزل. أنا اعيش في لندن.»

علقت جيما متهكمة: «هكذا إذن. تقدم «الدروب الساطعة» كماوى للتكرم والشفقة.»

«إلى أن افقد صبري أو تتحرري من الجميل. في الوقت الحاضر أنت في أمان.»

«ماذا تعني في أمان؟ لقد خذلت من كل الجهات، لا يمكنني الإلتصاق هنا، عليّ الحصول على عمل لأني في حاجة للمال، كما تعلم جيداً، هناك جيسي وأريد أن

اشتري البذور للعصافير. لو ظننت بأني سأدعك تحتفظ بنا...»

«لقد تدبرت امر مصاريف المنزل لسبب بسيط وهو أني املكه، سيصرف لجيسي راتبها كالمعتاد مني. وساضيف لذلك لكوني سأحتفظ بك.» انتفضت جيما واقفة وغاضبة من الإحراج والإنزعاج، وارادت مغادرة الغرفة فوراً ولكنه اعترض طريقها قبل أن تخطو خطوة واحدة أمرها بحزم: «أجلسي وتناولي طعامك.» وبدأت جيما ترتجف وهي تقول: «كل هذا هراء وأنت على يقين من ذلك» وقف إلى جانبها وقال بهدوء: «أنا أنوي الزواج منك يا جيما. لقد كافحت للحصول على ما أريد طوال حياتي ولم يكن الأمر سهلاً في البداية، ولكنه أصبح أسهل بالمراس، ولديّ العديد منه. الآن لديّ كل شيء أريده إلا أنت، أنت الجوهرة في التاج، الناصعة، الزوجة المهذبة. عندما احصل عليك سأشعر بأني وصلت والماضي سيزول.»

همست جيما بشفتين مرتجفتين: «لقد وصلت لو ظننت الآن بأنك تريد أن تثبت أي شيء لأي كان...»

«فقط لنفسي» أكد لها برقة ثم انتصب واقفاً وتوجه نحو الباب وتوقف ثم استدار لينظر إليها: «إلى أي مخاطرة تنوين أن تودي بحياتك؟ ليس لديك مؤهلات. لم يسمح لك بالذهاب إلى الجامعة خوفاً من أن يسرقك شاب من باري، بالإضافة لذكائك ما ينقصك هو التجربة. ما عساك أن تفعلي الآن سوى أن تضيئي منزل رجل ثري؟»

لقد أصاب جيما بسهم جارح لأنها كانت الحقيقة بعينها. معرفة ذلك عنها اذهلها. لقد أحبط والدها كل أفكارها،

وولاؤها له منعها من الدفاع عن حقوقها، اضف إلى ذلك جايمس ساندرسون الذي تبارى ليصل إلى القمة.

«هل تملك سيارتي أيضاً؟» استفسرت بينما كان يغادر. ازعجه ذلك بوضوح لأنه بادرها بنظرة عتب: «لا املك سيارتك! ولا ملابسك أو مجوهراتك. السبب الوحيد لامتلاكي أي شيء هو ما أراده والدك اتفاقاً.»

«أنا كنت جزءاً منه؟»

«لولاك لما كان هناك اتفاق على الإطلاق. لكي نشتري أشياء جامدة امر سهل، كل ما نحتاجه هو المال. شراء الناس عمل سيىء لا يمكنني ان اخوضه. أريد الزواج منك، وأنا مستعد للانتظار، لبعض الوقت.»

«في الوقت الحاضر، لديّ منزل لأعيش فيه ومصاريفي مدفوعة» اعلنت جيما بعينين داكنتين وغضب وتصميم.

«صحيح، لبعض الوقت، كما قلتِ» ووقف ينظر إليها وعيناه ضاقتا لمصيرها المزعج.

«حقاً!» وقفت جيما برأس مرفوع فيما الاحمرار الناعم الغاضب يجتاح خديها، وتابعت:

«إذاً ساعقد اتفاقاً يا سيد ساندرسون شرط أن تكون صادقاً.»

«سمعتي فوق الشبهات.» اكد لها بهدوء مراقباً لها بجانبية غير معتادة وعلمت أنه صادق، جايمس ساندرسون عندما يعطي كلمته تكون قاطعة: «ما هو نوع الاتفاق الذي تفكرين به يا آنسة ليل، لو اخذنا في الإعتبار، غير جسدك الجميل؟» فاحمرّت خجلاً وثبتت في مكانها.

«أنت تظن أني لا شيء سوى دمية صينية، قلت إن أبي عاملني بهذه الطريقة، ربما كنت محقاً» أشارت لذلك بحدّة: «لقد قاومت لتصل بذكائك وبجهدك، امنحني نفس الفرصة.» لو ترك الأمر لها لكانت تجنبت النظر إلى ملامحه الشرسة، والذكاء الغامض، والرجولة الرائعة التي ترقبها بعينين عابستين فاحصتين.

كان يمشي نحوها واعصابها منهارة تقريباً، الفكرة لم تختمر في رأسها كلياً، كانت مجرد فكرة عابرة خطرت لها عندما كان يخبرها عن عدم اهميتها وتفاهتها قالت له: «أطلعني على أمور «ساندرسون ـ ليل.»

قال بحيرة: «ليس لديك مؤهلات.»

«أنا! لديّ نوعا ما. لقد انخرطت في دورة من دروس الأعمال ونجحت، أبي لم يكن على علم بذلك وقد اطلعته مؤخراً، كان يظن بأني خارجة فقط...» وتماوج صوتها عندما رأت إمارات التعجب على وجهه. «تخدعين والدك؟ حسناً، حسناً.» همس قائلاً وأحد حاجبيه منتصب وقال: «ثم ماذا؟»

«لم يرق له الأمر ورفض أن التحق بعمل، وهكذا... وهكذا خبرتي بدأت تصدأ ولكن لديّ امكانات اكثر مما تظن.» كان ينظر إليها باندهاش حتى أنها ارادت أن تنزل أرضاً وتختبىء تحت الطاولة.

همس باستهزاء: «حسناً إذاً، لديك مهارات مكتبية صدئة وغير مستعملة ودون خبرة ما عدا فن خداع والدك. وهذا لا يؤهلك للعمل معي.»

«لا أريد العمل معك.» صرخت جيما بسرعة وحماس

والفكرة ترعبها، إلى جانب أنه مزعج وبارد فإنه بارع ولامع ولسوف يضجرها كل يوم.

سألته: «هناك العديد من الأقسام بالتأكيد، المحاسبة، التخطيط، السكرتاريا...؟»

«إذاً؟»

«علّمني المهنة وإن... وإن لم استطع تعلمها...»

«إن لم تتمكني من تعلمها، ستتزوجين ومال برأسه إلى جهة أخرى ورمقها بثبات.»

اجابته: «نعم.» فشحب وجهها للفكرة ولكن كان عليها أن تقول شيئاً، شيئاً تساوم به.

«الإتفاق يا جيما هو اتفاق» أشار بهدوء وعيناه مسمرتان عليها. «إن فشلتِ، ستوقع أن تنفذي بقية الإتفاق.» وامتدت يده لتلمس وجهها «اتفاق مع المجهول؟» لكنت جيما: «سأحافظ على كلمتي.» قال بثقة: «ستفعلين، أيها الملاك.» ونظر إلى عينيها المرعوبتين للحظة ثم ضحك نفس الضحكة الواثقة التي سمعتها بالأمس. وقال: «إذن، أنتِ لستِ بباردة ومتفردة برغم كل شيء، ألمح في داخلك ناراً حارقة تغذيها المبارزة. مبارزة إذن، الرابح يأخذ كل شيء.»

«أنا... أنا بحاجة للوقت.»

«طبعاً، سأمنحك الوقت الكافي.» وأكد لها بدهشة ساخرة: «سأكون عادلاً معك، نحن في بداية ايلول ـ سبتمبر، المحاسبة أولاً، أظن أن دانزل برايس، يدير قسمه جيداً ويمكنه أن يدربك على العمل.» ثم أضاف بتهكم: «بحلول عطلة الميلاد سنقيّم تقدمكِ.» وطبع قبلة على وجنتيها مما

ادهشها وتمتم مغادراً: «تمت المساومة.» توقف عند الباب ونظر إليها، بصورته القوية الداكنة ورجولته الطاغية. وقال بهدوء: «إن وددت إلغاء المساومة في أي وقت افعلي، دون أن تقولي.»

«وإن فعلتُ؟» قال بتهديد: «تتزوجين مني بالطبع. تبدين مهتمة مع مرور الوقت. أشتم مؤامرة للإطاحة بي. لا تعتمدي عليها كثيراً، الإطاحة بي ليست سهلة.»

ما زالت تشعر بقبلته الخفيفة، يبدو أنها احرقتها، الشعور يسري إلى يديها ليصل إلى اطراف انامِلها. كل ما تحتاجه هو التنهد بحرّية وهي الآن لها. في إمكانها البقاء في «الدروب الساطعة» وتتأكد بأن جيسي مرتاحة، إنها تشك برغبتها بالسكنى في شقة رخيصة في ضاحية ولا يمكنها أن تطلب من جيسي مواجهة ذلك. جيسي ستصمم على البقاء معها وعليها أن تخطط للبعيد قبل الرحيل.

في الوقت الحاضر لديها الاتفاقية وستعمل جاهدة لتحقق ذاتها، إذ أن هذا سوف يضعها على الخط المؤدي ربما للعمل في شركة أخرى، وجيسي لن تواجه مصاعب، لأنها مصممة على النجاح، ولن تكون ذروة نجاح أعمال جايمس ساندرسون، الزوجة المهذبة التي ستنسيه ماضيه الوضيع.

عندما دخلت المطبخ، كانت جيسي منشغلة ولكن مرتاحة. الرجال غادروا وكانت تنظف الصحون، للحظة لم تقل شيئاً، ثم استدارت لتواجه جيما بتصميم كعادتها لتوضح الأمور.

«اخبرني السيد ساندرسون أنه اشترى المنزل.» لم تكن تسأل لتتأكد، لقد أخذت كلام ساندرسون دون أدنى شك. كل

ما كانت تعنيه هو أن تخبر جيما بأنها على اطلاع بما يدور من أحداث.

لقد أطبق وخزّن وصادر جميع الموجودات بما فيها أطباق المطبخ، كما يوردون في الإعلانات، حتى محتويات المنزل. «حسناً، هذا أفضل، كان محتملاً أن يأخذه غريب، فأنا أحب هذا المنزل.» سألت جيما باستغراب وهي تنظر متعجّبة: «ألا تظنين أن السيد ساندرسون غريب؟»

«أظن أنه محترم، رجل حسن محترم. إنه قوي ويهتم، بغض النظر عما يقولون عنه في الصحف. في إمكانك الحكم على كلام الصحف من الذي نمر به الآن. لست ادري كيف كنا سنتصرف لو لم يكن السيد ساندرسون هنا لحمايتنا، ليس في إمكانهم اختراق الرجال الأقوياء عند المداخل، مما يذكرني بوجوب تحضير الغداء لهم، سيحضر أحدهم عند الثانية عشرة. لم انتبه ليلة أمس، كنت منزعجة، لم يتناولوا حتى فنجان شاي طوال الليل.»

«سأرفع مائدة الإفطار.» تمتمت جيما وهي سعيدة بالعذر لتذهب. لقد نالت كفاية من الرجل المحترم ولم تشأ أن تسمع حتى باسمه.

«سمعت أننا سنبقى هنا.» وقفت جيسي ورغوة الصابون على يديها وأدارت رأسها الأشيب ناحية جيما، مصممة على معرفة آخر التفاصيل. «مؤقتاً» وتوجهت جيما نحو الباب وهي تشعر بأن وجهها زاد حرارة.

«إلى متى تعنين مؤقتاً؟»

حسناً، ها هي تحاول حل معضلة أخرى. «حتى أتمكن من القول له بأني لا أريد الزواج منه.»

«وهل سألك؟» وفجأة تحولت نظرات جيسي إلى سعادة غامرة: «عرفت أنه ينوي ذلك ذات يوم، لاحظت نظراته لك، حتى ولو لم تلحظي. ليلة امس كان قلقاً عليك، كان يسألني ماذا أكلت؟ وما أظن بأنه سيفتح شهيتك؟ متى ستتزوجين منه؟»

«لن يحصل.» ونظرت جيما إليها وأضافت: «وافقت على الإقامة هنا لأننا في حاجة إلى ماوى، وحتى أتمرس بعمل المكتب، ثم احصل على عمل أفضل في مكان آخر، بأجر أكبر.» بدت جيسي مستاءة. «أنت تخدعينه؟» قالت جيما باشمئزاز: «يستحيل خداعه.»

«لقد عقدت اتفاقاً... بطاقات... على طاولة... إن لم اتمكن من العمل، سأتزوج منه، ووجدها نوعاً من المبارزة.»

علّقت جيسي بغضب: «يعلم بأنك مجنونة، هو يداعبك. إن رجلاً مثله لا يحتاج الركض وراء أية امرأة. أنت ستخسرينه.»

«أتمنى ذلك، اتمنى لو لن أراه ثانية.» زفرت جيسي بهستيرية واستدارت نحو الصحون، واتبعتها بأخرى عند مغادرة جيما للمطبخ. «سأحصل على مساعدتين. السيد ساندرسون يرى أن امرأة في سني لا تتحمل كل اعباء البيت وحدها.»

«أنا دائماً اساعد.» استدارت جيما وقالت جيسي: «قال أنه ليس عليك، ويجب أن ترتاحي اكثر، هناك امرأتان ستبدآن العمل الأسبوع المقبل. فضّل السيد ساندرسون الإنتظار حتى ترحل الصحافة عن المداخل خوفاً من ثرثرات

الخدم.» للحظة شردت جيما ولكن إلى لا شيء. جيسي أوردت اخبارها وحصدت معلومات تفوقها. واجتاح جيما الغضب، السيد ساندرسون يقول هذا، السيد ساندرسون يقول ذاك، لقد ذكر بأن الصحافة يمكن أن تدخل حيث لا يستطيع الماء أن يسيل، لم يخطىء في هذا. صعدت جيما إلى غرفتها بقلبٍ تغيّر بتغيّر الأحداث. عبر نافذتها يمكنها رؤية المداخل. كانت مقفلة والرجال من الشركة يتحدثون وكأنهم في عطلة، وعلى الطرف الآخر من المداخل كان هنالك ما بدا أنه تجمع بشري، العديد مع آلات التصوير. الصحافة، أومات مستسلمة. إنه استعراض قوة العضلات عند المداخل، الذي منعهم من التخييم عند عتبة الباب. واملت بأن يكون جايمس قد أدلى بتصريحه وأن ترى غداً أفولهم. الفكرة أزعجتها ربما اكثر، إلى أي مدى هي في قبضته؟ كيف وقعت في الشرك؟ لأول مرة في حياتها ستحارب، والبديل مخيف.

الفصل الثالث

اتصل جايمس قبل غروب ذلك المساء. وقال آمراً فور إجابة جيما: «اصعدي إلى غرفتك وانظري عبر النافذة، أتخيل بأنك تستطيعين رؤية المداخل من هناك.»

«أنا في غرفتي الآن.. علامَ أنظر؟» قال بجفاء: «سأكون سعيداً لو رأيت أحداً هناك.» عندما نظرت جيما، وجدت أن كل رجال الصحافة قد رحلوا، والرجال من الشركة يلعبون الورق، فزمجر جايمس باستمتاع عندما اخبرته. وقال: «لقد ارسلت فريقاً آخر لهذه الليلة، وبعد ذلك. أشك بأن يبقى أحد مهتماً؟»

كانت عصبية لمجرد التكلم معه عبر الهاتف وسمعت ضحكته الغامضة التي تقلقها كثيراً.

«نعم، أدليت بتصريح، بالنسبة إلى الوسطاء نحن الآن طبيعيين مضجرين. ومع هذا، انصحك بعدم قراءة الصحف لعدة أيام. حذرتك من الإستنتاجات الملونة، لم انتهِ من سحق كل شيء.»

«أتعني بالنسبة للمرأة؟»

«نعم.» وفجأة تكلم بجدية: «افهمي ذلك وانسيه يا جيما. تذكريه فقط كما تعرفينه.»

«سأفعل.» كان ذلك بصوتٍ أعلى من الهمس، ولكنه سمعه.

«تعلمي أن تعيشي، أنتِ ذكية وجميلة.» اجابته باستياء: «أنا... أنا ساعيش لأن عليّ مقاومتك!» وبدأ يضحك ولشدة

استيائها تخيلت مظهره المستبد. كان هذا احساساً مزعجاً، مؤلماً يفتك ويعصر كل عصب من أعصابها.

أكد لها: «أنا مستعد للتحدي. إن كان سيخرجك من قوقعتك الصغيرة إلى العالم الحقيقي، عندها سيستحق العناء. أنا مصمم على الفوز، تحت أي ظرف.» اجابته: «وأنا أيضاً.» قال مستنتجاً: «ربما بدّلت رأيك قبل عطلة الميلاد تاكدي بانه إن دربتك وعلمتك كل شيء عن الشركة سأجد بديلاً افضل من السابق.»

«قلت لك يمكنني أن أتعلم من كل قسم.»

«طبعاً في إمكانك ولكن كل الأقسام تمر عبر مكتبي، لا تتوقعي أن اقوم بها مناصفة معك، عندما تتمكنين من المعلومات يمكنك تنسيقها. ستعيشين إلى جانبي كل يوم.»

كانت جيما صامتة، لم تفكر بهذا إطلاقاً، ولدقيقة ترك الصمت يسود. سأل برقّة: «عندما تثور اعصابك تتجمدين لفترة. أتعرفين ذلك؟»

ثم قال بعد لحظة: «أتريدين أن احضر إلى «الدروب الساطعة؟»

«لا أريد! لقد وعدتني بأن تبقى في شقتك بينما أنا هنا.»

«لفترة نعم، سأبقى إلى أن نتزوج.»

«هذا لن يحصل.»

«لا تتظاهري بالاستياء يا ملاكي. أنا لن افرض نفسي عليك.»

«أضمن لك ذلك، وأنا لست بملاكك.»

«سوف تكونين جيما، على الأقل ستكونين إلى جانبي في «الدروب الساطعة» لنستقبل ضيوفنا.» فاقفلت سماعة

الهاتف بوجهه وهي تتخيل الصورة التي رسمها. لم تكن مرعبة كما كانت تظنها. لا مجال له بالتسلل إلى حياتها، كان يخيفها، وهي تكرهه على اية حال. لن تبدأ العمل حتى الأسبوع المقبل. والطقس بدأ بالتحسن. فاصبح جميلاً ودافئاً كصيف الهند، امضت وقتها في الحديقة خارجاً قدر الإمكان، وتوصلت إلى قناعة، بأنها وحيدة الآن. عليها الآن مواجهة الواقع في أن والدها لم يعد موجوداً ليداعبها ويمازحها، يدللها ويزجرها، تعترف بذلك الآن لنفسها، من دون أن تطلع جايمس على هذا الأمر ابداً.

بقدوم المساعدتين المرحتين لم يعد مطلوباً منها عمل أي شيء، وما زالت مضطربة لفكرة ابتعادها عن البيت ولو قليلاً، خائفة لمجرد مقابلتها لأي كان، يعيد نبش الماضي ويحطم هدوءها الجديد. امضت معظم الوقت في الحديقة تتمتع بأشعة الشمس، ترتاح وتأكل كلما رغبت، تعافت تدريجياً، وسألت نفسها بتأنيب عما إذا كانت ستتعافى بهذه السرعة لو لم يقتحم جايمس ساندرسون حياتها.

في يوم عملها الأول كانت متوترة أكثر مما تصورت، وتحققت بأنها لم تقم في حياتها بأي شيء لتأمين عيشها لأنها كانت متزنة وباردة لعدة سنوات، عليها الآن أن تنزع هذا الرداء عنها دون خوف، لم تكن على صواب، المدخل والحواجز عند مبنى الشركة دفعتها لأن تهرب وتلغي كل شيء. بالطبع الكل يعرفها، زارت هذا المكان من قبل لرؤية والدها، ولكن الآن النظرات مختلفة، والإحساس داخل المبنى، بأبوابه الزجاجية شكله الفولاذي والزجاجي، كان مختلفاً ايضاً. آل ليل حقاً رحلوا، كانت تعرف ذلك مسبقاً،

عندما ظهر جايمس في الساحة، الأساليب المريحة السابقة ألغيت. جايمس يحكم الآن وبريقه البارد يسود الأروقة، وحتى الغرف. وقفت في الردهة الواسعة، تائهة ولكن ذلك لم يدم طويلاً، وكساحر اسود ظهر جايمس وأمسك بيدها بحزم لكي لا يتيح للتوتر وقتاً، قدمها لدائرة المحاسبة وكانها موظفة عادية وبطريقة تدل على أنها جيما ليل فقط، وعلى عدم أهميتها بالنسبة إلى الشركة وأنها تحت جناحيه. لم يحاروا لأنهم يعرفونها وانما تعجبوا، الكثير منهم رآها عندما كانت فتاة صغيرة بشعرها الأشقر ومعظمهم يشعر بالأسى لحالها. أدركت ذلك من نظراتهم، لقد علموا بأمر والدها طبعاً. المدينة كلها علمت بذلك. إنها لا تريد شفقة، تريد أن تثبت أشياء لنفسها ولجايمس، وبدأت عملها بتصميم أدهش الجميع.

لقد استمتعت بعملها واستوعبت بسرعة، من دون أن تشعر بمرور الوقت. وقت الغداء دخل جايمس المكتب وطلب أن يتكلم معها، ولم يقطع الصمت بأي كلمة إلى أن استقلا المصعد متوجهين نحو مكتبه فقال لها بحزم: «سأصطحبك إلى الغداء.» أجابته: «لا داعي، لا داعي على الإطلاق، بدأت أكل جيداً.» بعد أن تعافت اعصابها هي الآن متمتعة بعملها، بحماس مطلق.

قال فيما كانت عيناه تتفحصانها: «احسب ذلك وقد لاحظت اللون الجميل على الوجه وزيادة الوزن. إنه يناسبك، هذا ليس بحثنا الآن، سآخذك للغداء.»

«وهل عليّ أن أفعل ذلك؟» وارتفع حاجباه الأسودان بدهشة: «لا، يمكنك ركلي واختلاق مشهد لو ودت. أنا لست

والدك، ولا أتوقع طاعة لطيفة، قاومي كما يحلو لك، سأنالك في النهاية.»

«كنا نتكلم عن الغداء، لا أي شيء آخر.» أشارت جيما ووجهها يشتعل احمراراً. وافق بسخرية: «أتتناولين الغداء معي يا آنسة... ليل؟»

«إذا كنت مصراً يا سيد ساندرسون!» إثنان يستفزان بعضهما بعضاً. غاص قلبها عندما تذكرت قصر المدة المحددة لها قبل عطلة الميلاد. هل سيمنحها وقتاً أطول؟ ماذا يعني بتقييم؟ راقبت وجهه الداكن بقلق وهي تفكر بجنون.

«امضيت وقتاً وأنت تتاملين يا آنسة ليل، هل لاحظت ذلك؟ لسنتين خلتا كان سهلاً أن افتقدك لو لم أكن مهتماً بك. اما الآن تبدين شاردة في حلم دنيوي وتحدقين بتركيز مرعب، ان وددت معرفة أي شيء، اسألي فقط. لا داعي لقراءة الأفكار.»

قالت بتوتر: «أحاول أن ادعك تتلاشى. أرى أني لم استطع إزالة هذا الحقد من داخلك، رغم تخطيط ليال طويلة، أنت ما زلت كذلك.» فضاقت عيناه الداكنتان لوقاحتها. «الأفضل أن تستسلمي، لطالما أردتِ إبعادي عنك، وأردت قربك. أرى أننا نلغي بعضنا البعض، كمبدأ المغناطيس. دعيني أربح. سنستمتع سوياً أكثر.» من الواضح أنها ذهبت للغداء بوجه يشتعل احمراراً و املت أن يظن النادل بأنها أمضت صباحاً مضنياً في العمل. لاحظت أن معظم النساء في البناء لاحظن، وهو أيضاً. لديه غطرسة تجاه أي مبتدىء مسكين.

لو صدقت النظرات، أغلب النساء هنا كن مغرمات به. وكل واحدة اغتنمت الفرصة لتهرع آملة في الزواج منه. ولكنه واقف كمعبود اسود في حياتهن، لقد اقتحم كيانها كفهد أسود.

تنكرت حين رأته للمرة الأولى، حين دعاه والدها لحفل عشاء كبير في «الدروب الساطعة» وذلك، قبل ان يتعرّف على الشركة. كانت تقف في الفناء تستقبل المدعوين، واستدارت حين ناداها والدها والبسمة على وجهها بفعل كلمات سمعتها من اصدقاء للعائلة قدامى. «جيما، حبيبتي، هناك شخص أرغب في أن تتعرفي إليه.» نكر والدها ذلك مراراً من قبل، وتلاشت الإبتسامة من وجهها حين استدارت لتلتقي بعيني جايمس ساندرسون الداكنتين اللامعتين.

احساس غريب اجتاح كيانها، وخفق قلبها بشدة، وانتابها الذعر وعرفت عندها أن هذا الرجل ليس كسواه. رأت تصميماً ثابتاً ورغبة جامحة. شعرت بانها مهددة وكل ما استطاعت فعله كان مصافحته.

«آنسة ليل» وانحنى بأدب وترك يدها في الحال حين لاحظ ارتباكها. لم تستقر طوال الليل، وتذكر بانها كانت تختلس النظر إليه، وتشيح نظرها عنه عندما تلتقي عينيه الداكنتين. نعم، كانت تحدق به سراً، وبعمق. وكانت لا تعلم سبب الاحساس الغريب الذي انتابها حين رأته.

ضغطت يد قوية على يدها واحست بانها تخرج عن الرصيف، حينها فقط أدركت بانها تسير نحو ازدحام ساعة الغداء. همس بسخرية: «لا تقتلي نفسك فانا بحاجة إليك يا

جيما، سيارتي متوقفة هنا. لم أضعها في المرأب اليوم.» أجابته: «آسفة، كنت افكر.»

«لا تأخذي الحياة بهذه الجدية.» قالها ناصحاً، وأجلسها في سيارة المرسيدس: «لو كنت اكثر طيبة لتمتعتي اكثر.»

«هذا صعب. أنا تحت تهديد.»

«خطأ، أنتِ مرغوبة. الم تكوني مرغوبة من قبل؟ ألم يقل لك أحد من قبل إنك جميلة؟» احمرت خجلاً ونظرت إلى يديها المتشابكتين: «لم... لم أدع نوعاً... نوعاً.»

«وقاحة؟ لا تتوتري. استرخي، أنت خارجة للغداء.»

لم تكن تدري ما تقول. بدا فجاة محترماً ومسلياً، وخالت بانه يستخف بها. في الواقع، لم يقل لها أحد من قبل بانه يريدها، كانت خجلة لدرجة لا تسمح لها بذلك وهي تحت حماية والدها، لقد خاضت معارك لكي يسمح لها بالتاخير حين تخرج، وأي عمل آخر لم يكن متوقعاً. قالت بصوت خفيض: «كل ما تحتاجه هو زوجة مطيعة ووريث.»

أكد لها بعمق: «أنا أريدك. أريد أن اصحو وأراك معي. أريد أن اتذكر أشياء وأنا خارج المنزل أيضاً.»

«أنت تعلم بأني لن أتزوج منك.»

«اعلم بانك لا ترغبين. الوقت كفيل بتغيير الأمور.» أجابته: «أنت رجل متعنت. أنت عنيد وخطر.»

«أفضل من أن اكون متخاذلاً وجباناً، بالتاكيد.» نظر إليها بمكر قبل أن يدير محرك السيارة ليدلف في زحمة السير.

«بالتاكيد لن تتوقعي مني نفس المعاملة التي تعودتها مع

اصدقائك المهذبين؟ أنا اعاملك باحترام، وفي رأيي أنا اذللك بافراط. تركتك تنخرطين في ميدان العمل وأنا مقتنع بأنه مضيعة للوقت ليباعد بيننا. سأضغط بقوة حين اشعر بتفاقم الأمور. حتى ذلك الوقت تمتعي بالأمان.»

«أي أمان؟ أنا أتارجح على شفير هاوية.»

«فقط ضعي اصابع قدميك في الماء لتشعري ما معنى الحرية. لم تكوني يوماً حرة يا جيما، أنا امنحك الحرية الآن، ولكن بحماية لن ادعك تنجرفين.»

الّحت جيما: «لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا اخترتني؟ فهمت، تريد علاقة سريعة وزوجة مطيعة ضعيفة؟»

«حسناً، للتغيير. ايمكننا وقف المهاترات الآن، لقد وصلنا.»

لقد وصلا اخيراً إلى المطعم «دلغارنو.» المكان دافيء وفخم واحست جيما ببعض الارتياح. لم تدخل هنا سابقاً، لكن معظم رواد هذا المكان هم من معارف والدها فخافت أن تنظر حولها.

«طاولتك يا سيد ساندرسون.» وبدا المسؤول في المطعم منحنياً لجايمس، وكان الجميع ينظرون إليهما، التصقت جيما بجايمس بينما كانا يعبران الجموع في المطعم. «استرخي، لن يطلب أحد منك بأن تخلعي ملابسك لتستحمي.» اجابته: «حتى وهم يحدقون بي؟»

«حسناً، لا أريد احباطك يا طفلة، انهم يحدقون بي، أنا.»

«وهل يرون قرنيك؟» كيف لها أن تتمادى في حديث خفي بينهما بينما هي ترتعد؟ حقاً إنها لا تدري، ولكنه ابتسم برقة وغموض. «هكذا أفضل، لا، لم يروا قرنيّ، ولكنهم سمعوا بآخر نشاطاتي.»

«أنا؟» ورفعت نظرها إليه باستغراب ونظر إليها كأنه الشيطان. «هذه قلة حياء يا آنسة ليل، لا، ليس أنتِ لقد اشتريت الإتحاد الزراعي، كانت معركة انهيتها ليلة أمس. المدينة كلها تعرف ذلك الآن.»

وقف بينما يجلسها النادل، ثم جلس قبالتها وعيناه مسرورتان ومشعتان وقالت له: «ولكن هذا خيالي، أليس كذلك، ما علاقة هذا بالهندسة المدنية؟» أجابها متهكماً: «يبدو أن فتات العصافير لم تتلف دماغك. نعم خيالي، لقد خضت غمار عدة اعمال لا خبرة لي بها منذ بداياتي، لسنوات خلت، الإتحاد الزراعي اشعل معركة ولكنهم خسروا.»

«طبيعي، كنت أتخيل أنك تهتم بالهندسة. ولكن، يبدو أنك تعيش حرباً.» قال لها بجفاء: «أنعود إلى الجدل ثانية؟ أنا مهندس، ربما لم تكن متعتي الوحيدة، ولكنها مهنتي، خاصة الآن.» وفجأة بدا اعتيادياً مفزعاً، استرخى على كرسيه ونظر إلى لائحة الطعام.

«أأطلب لك؟ فأنا أعرف كل ما تحبينه.»

«كيف لك هذا؟»

«عليكِ أن تتذكري بأني كنت أراقبك بينما كنتِ تحدقين بي طوال الوقت في «الدروب الساطعة». متعة مشتركة ولكنها غير مرغوبة. اعرف ما يرضيك وما تختارين.» ورفع نظره فجأة: «أعرف بأن شرائح اللحم لا تروق لك وتعشقين لحم الدجاج. تحبين الفريز وتكرهين الكريما. تحتسين حساءك دون أن تلطخي ثوبك.»

بدل التحديق إليه باندهاش بدأت جيما الآن بالضحك، للمرة الأولى تضحك وهو قريب منها، فبرقت عيناه: «أنتِ

فتاة جميلة، يا جيما» نظرته كانت حميمة حتى أنها اشاحت بعينيها دفاعاً عن النفس، لا مجال للتخفي إلا في داخل افكارها. ولكنها ما زالت تراه حتى لو اغمضت عينيها ولا يمكنها الهروب من الصوت الغامض العميق كالقطيفة السوداء.

«يوما ما لن تستطيعي الإختباء مني، يوماً، قريباً، ساعلم بكل ما يدور في فكرك، بكل اسرارك وبكل بوصة من جسدك.» همست: «أرجوك، أنت تعلم أني لن اتزوج منك، وتعلم أني انوي الهروب على أية حال، حتى لو تحتم عليّ الرحيل.» وتحركت يده عبر الطاولة لتلمس يدها.

«أتعنين الهروب؟ واجهيني، يا جيما، قاومي.»

«أنا... أنا لا استطيع.» ورفعت رأسها ببطء، ونظرت إليه وكان مستحيلاً إبعاد النظر، كانت اسيرة العينين الداكنتين، اللتين تغوصان في الأعماق. «هل... هل تحاول تقوية شخصيتي الضعيفة؟» هز رأسه مبتسماً وواثقاً من نفسه، ولكنه لم يرد... كل ما قاله: «لا تنفعلي» قالها بهدوء وبلطف، حيث انها ابتلعت ريقها بتوتر ولم تحاول أن تسحب يدها من يده.

كانا على وشك الانتهاء من وجبتهما عندما رفعت جيما نظرها لترى امرأة تنحني على الطاولة، والإنطباع الوحيد الذي خرجت به، انها هي، سبق لها أن رأت روما بريسكوت في العديد من إعلانات المجلات، حتى على التلفاز. نجاحها مدهش بالنسبة للعامة، لم يكن ليخفى على جيما أن ما يستهوي روما بريسكوت هو ذاته ما يستهوي جايمس، الإرادة على النجاح باي ثمن. بدت مفعمة بحيوية

جامحة، بحيث أن حيويتها استرعت الإنتباه حين توجهت نحوهما. نفس الصورة التي رأتها جيما سابقاً، الشعر الأسود المعقوص إلى الخلف بعناية، الكتفان المبطنتان العاليتان والسروال الأسود المحدد، والعينان الزرقاوان المتوحشتان.

«حبيبي» حرارتها بدت تتفجر حولهما، فرفع نظره مع احساس بالمفاجأة: «روما؟ لم أعلم أنك هنا!»

«لست بالضبط، حبيبي، ولكن سأتناول القهوة معك. هذا ما يتيحه الوقت لي. اطلب لي فنجاناً لو سمحت. اتصلت بمكتبك فابلغت بأنك هنا، وكان عليّ أن اخبرك بأنني سأستطيع الليلة. كنت خائفة من أن تكون مرتبطاً.» نظرت إلى جيما وتفحصتها بدقة ثم استدارت وكان المشهد لم يرق لها.

«لا ارتباطات اخرى.» تمتم جايمس، وهو يشير إلى النادل: «جيد إنك اتيتِ وإلا لكنت طلبت من جيما.» وقدمهما لبعضهما بعضاً والحاجبان الأسودان المستويان ارتفعا لدى ذكر اسم عائلة جيما. «ليل؟ آه، أتمنى بأن تكوني قد تعافيتِ من التجربة، يا آنسة ليل، الصحافة دائماً جائرة عندما تحشر أنفها في فضيحة.»

«لم يزعجوني قط، يا آنسة بريسكوت، في الواقع، لم اجتمع بأي منهم، لا يوجد شيء يفيدهم على أي حال.»

«حقاً؟ علمت أن شيئاً قد أسكت، ولكن...»

«ربما، تمكنت من السكوت الآن يا روما.» اقترح جايمس بصوت مخادع خافت: «جيما لا زالت حزينة لفقدان والدها.» تمتمت روما من دون تأنيب ضمير: «أنا آسفة. بما أنه كان

على علاقة مع والدك، اتوقع أن يضمك جايمس تحت جناحه لفترة.»

فجأة تضرجت جيما احمراراً، لم يعجبها التشديد على كلمة «علاقة» ولكن ارضاها لأن روما بريسكوت بكل غرورها ستعيرها جايمس لفترة، وهذا يعني ان روما واثقة منه. هل بحث بشأنها مع صديقته؟ أم كانت مجرد صيد سهل؟ مهما يكن لا يحق لها أن تشن حملة على والدها.

قالت بعذوبة: «جايمس يهتم بي، لست أدري ما كنت فعلت لولاه في الأسبوعين الأخيرين. في الواقع أنا مقيمة في منزله الآن، حتى أنه يتأكد دائماً إن كنت اتناول طعامي أم لا. عليك أن تأتي للعشاء معنا ذات ليلة.»

نظرت روما بخبث واضح، لم تكن تتوقع كل هذه الحماية، في الواقع، وسهم جيما اصابها بالغضب الواضح فوراً، أما جايمس، فقد جلس مسترخياً ومتاملاً، وقال:

«انها لفكرة حسنة، ماذا عن مساء الغد، يا روما؟ تعالي عند السابعة. سنريك المكان قبل العشاء.»

كان يستمتع بذلك، هذا ما شعرت به جيما. لم يعد يهتم بروما أو باي شيء أو باحد آخر، تاملته بهدوء بينما روما شربت قهوتها وغادرت.

تمتمت: «الدروب الساطعة» لي على الأقل حتى عطلة الميلاد. «وأنا لم أدعك للعشاء...»

«لقد دعوتِ روما. اتريدين مواجهتها بمفردك؟ أحذرك. لقد نلتِ منها على حين غره، على أية حال، ستستعيد عزيمتها وعندها ستنالين حصتك.» علقت جيما: «أشك في أن اراها ثانية، إذاً اين المشكلة؟»

«العشاء غداً مساءً، يا آنسة ليل، في منزلي، لقد قلتِ ذلك، على ما اظن.»

«إني اكرهك الآن أكثر من أي وقت مضى.» أجابها بمكر: «الغضب يزيد من المتعة لموضوع ممتع وبمرور الوقت، من المجدي ملاحظة انك لم تتحصني لمرة واحدة، لنتذكر ذلك.»

«لا يمكنك أن تأتي للعشاء.» اخبرته جيما بحزم. ولكنه بقي مبتسماً بخبث، ووسيماً فوق التصور. «ساكون هناك، رغم ذلك، يا جيما. وأظن باني سامضي الليل أيضاً. لا تهتمي بالتحضير لي. ساعلم جيس. صححت جيما: «اسمها جيسي.»

«تحب أن تدعى بجيس. فقط حاولي الإسترخاء وكل الأمور ستكون جميلة.» سألت جيما بحنق: «منك.»

كانت ابتسامته تخبو، والتهكم يتلاشى: قال بهدوء: «تعلمين أكثر من ذلك.»

«أنا لست لطيفاً. كل ما أفعله لك هو فقط كسب وقت حتى امتلكك.»

«تريد... تريد أن تمتلكني.» الوجه الهادىء المتفهم تغير وجيما تنظر الآن إلى الوجه القوي الذي لا يقهر. سألها وعيناه تراقبانها دون حراك: «ماذا عنيت؟ ربما كان افضل ان تنسي. أنتِ مهمة بالنسبة إلي، وجزء من مخططاتي. اضيفي إلى ذلك، أنني أريدك ولدينا مفارقات.»

احتارت جيما في ما إذا كان جايمس سيبقى على تهديده وياتي إلى «الدروب الساطعة» أم أنه مشروع للسيطرة على ثقتها. كان عليها أن تعرف بشكل أفضل.

كان خارج المكتب لفترة بعد الظهر، وفي اليوم التالي

أيضاً، ولكن عندما عادت إلى المنزل اعلمتها جيسي بسرور بأن السيد ساندرسون سيأتي للعشاء وسيبقى الليلة هنا، حتى أنه طلب انواع طعام خاصة، وعندما ذكرتها جيسي لاحظت جيما ان بينها العديد من الأصناف المفضلة عندها. احتارت فيما إذا سيحضر شراباً منعشاً ليعيد للبيت اهميته. وقد فعل.

كانت على وشك الصعود إلى غرفتها لتبدل ملابسها حين دخل ببساطة من الباب الرئيسي، وزجاجتا شراب بيد وباقة ورد بأخرى. وقفت عند الدرجة الثانية من السلّم وحاولت جهدها أن تبدو غير مكترثة أشار بسخرية: «شرابٌ وورد. طلبت قمراً ساطعاً، ولكن كان من الصعب توفيره.» تمتمت جيما ساخرة: «كم سيخيب هذا أمل الآنسة برسكوت! لا بأس سنضيء الشموع.» سار نحوها ووقف رافعاً نظره إليها بينما بقيت هي واقفة مكانها. فقال لها: «الورد لكِ.»

«لماذا؟» تحدته بغضب، منزعجة من نفسها لأنها تنظر إليه كأنه شيء عجيب، كان مشعاً، العينان الداكنتان تستوعبانها براحة، جاذبيته تحيط بها. «لماذا؟ لأنك ستكونين عروسي، واعلم أننا لن نناقش الأمر بجدية حالياً، ولكن بالتأكيد استطيع أن احضر ورداً لك. لاحظي الحكمة. احضرت اللون الزهري بدل الأحمر.»

«كي لا تثير شكوك الآنسة بريسكوت؟»

لأنها أكثر ملاءمة لعروس بتول، وبأي حال روما لن تراها، أليس كذلك؟ سوف تضعينها في غرفتك، قرب السرير.»

«سوف أضعها في سلة المهملات عند المدخل الخلفي.»

«لا، لن تفعلي يا ملاكي. أنت طيبة القلب.» استدارت بسرعة وصعدت السلالم مدركة أنه يراقبها ومدركة أنها لن ترمي الورود ايضاً. انه يعرف عنها القليل برغم أنها تحاشته منذ اللقاء الأول، يبدو أنه يقرأ افكارها. لم تكن تدري ما ترتدي للعشاء، ارتدي سروالاً من الجينز وقميصاً وتحرجه، ام تتانق لتضعه في مكانه الصحيح؟. أخيراً قررت أن ترتدي شيئاً يليق بالمناسبة، وطبعاً سيكون لونه اسود، أملت ان يعرف السبب. لم يكن الجهوز عليها سهلاً، نظراً لما عليها أن تتوقع، فمخازن روما بريسكوت تستقطب الزبائن الأثرياء، لقد حققت كل ذلك من خلال مخزن صغير وبديهي انها تعرفت على الكثير لتصل إلى ما هي عليه. الآن اصبح لديها سلسلة منهم ـ من المميزين ـ وتعتبر من الأثرياء الأقوياء، بعد تعارفهما لم يعد لدى جيما أي مجال للشك. ارتدت فستان سهرة أسود بقصة جميلة على كتفيها البيضاوين، مما اظهر شكلها الأخاذ، والأسود تناغم مع شعرها الأشقر العسلي الذي يتلألأ في الضوء.

تأملت نفسها بتمعن وأحست بالإحباط لكون جايمس موجود مع صديقته هنا ومجرد الفكرة ارعبتها. كانت تتأمل نفسها حين سمعت طرقاً على الباب. واملت بأن لا تكون جيسي قد احرقت العشاء. نادت بسرعة: «ادخلي جيسي.» ولكنه جايمس من فتح الباب ودخل.

«لا يمكنك الدخول إلى هنا.» وتسمّرت من الصدمة، انه يقتحم تقريباً كل جزء من حياتها. «لقد دعوتني. متأكد باني سمعتك.»

«أنا... أنا ظننت أنها جيسي، لو سمحت غادر المكان الآن.»

«لقد احضرت لك شيئاً.» قالها بهدوء وبخطوات غير مسرعة كقطة كبيرة سوداء. وتراجعت إلى الوراء ببطء وقالت: «لا أريده» فامسك بمعصمها وارغمها على مواجهته: «أنت لا تعلمين ما هو. لا تكوني غبية، يا جيما. أنا لست هنا لأغتصبك، اثبتي في مكانك وكوني هادئة لدقيقة، أريدك أن تضعي هذا.» وقبل أن تقول أي شيء ادار وجهها نحو المرآة وأخذ يحكم رباط عقد حول رقبتها. بدا اثرياً مميزاً بطراز قديم. وحدقت به بينما كان يقف خلفها، ثم تمتمت: «لا... أنا... أنا لا يمكنني قبوله، يبدو حقيقياً.»

«إنه حقيقي. أريدك أن تأخذيه. سيظهر لون عينيك. لقد رأيته بعد ظهر هذا اليوم في أحد المحلات، ولم استطع مقاومة سحره.»

«لا أرجوك، لا تفعل بي هذا. إنك تحرجني.» عبرّ بحيرة: «ولم لا؟»

امسكت يداه بخصرها المرتعد النحيل، بينما يراقب انعكاس التقائهما: «أنا ثري جداً، يا جيما، وأنتِ تسعدينني. أريدك أن تضعي شيئاً قدمته أنا لك.»

«و... ولكن أنا... أنا...» وشدها نحوه متلمساً وجهها الناعم «لا تترددي» امرها برقة مراقباً اياها وتابع: «هذا ليس بمكيدة، ولا بحيلة. انه فقط عقد.»

«اترغب بأن تثير غيرة الآنسة بريسكوت؟»

قالتها بسرعة محاولة أن تقمع ارتجافها الذي بدأ من

داخلها وظهر فجأة. كل ما فعلت جعله يضحك تلك الضحكة الغامضة الرقيقة التي بدأت تستسيغها. تمتم بسرعة: «لا شيء من هذا. أريد أن انظر واراك تلبسين شيئاً أنا اعطيتك إياه.» وحدقت بناظريها إلى المرآة، العقد غيرّها كلياً، قبلاً كانت جميلة انيقة، فتاة بسيطة، الآن بدت ثمينة ورائعة، ثم أن روعتها الآن ليست من العقد نفسه، كانت عيناها تتلألآن وبشرتها ازدادت احمراراً وترتعد لكون جايمس موجوداً، لكن هذا لا يجدي. وبسرعة وضعت على شفتيها احمر شفاه وسرحت شعرها ثانية، عليها أن تواجه روما بريسكوت وعليها ايضاً مواجهتهما معاً. سابقاً، كان الأمر معقولاً، أما الآن احست بالإحباط وتمنت البكاء، بعدما شاهدت روما. على جيما أن تقر بأن روما بريسكوت كانت رائعة وتضج انوثة اكثر مما كانت تتوقع. الليلة لم تكن ترتدي حسب الموضة، كانت متانقة لجايمس وبدا هذا جلياً. لقد اثارت حفيظة جيما وبدت متضايقة، إذ انها لم تر من قبل قوة ساحرة في امرأة بهذا الشكل، الشعر الأسود مسدلاً ويتراقص على كتفيها بروعة. كانت ترتدي فستاناً احمر زاهياً وقفطاناً ذهبياً ولون احمر شفاهها كان الأحمر نفسه في ثوبها. وزادت من تأثيرها بأن وضعت اللون الذهبي على جفونها، ومن دون ادنى شك فعلت كل هذا لتذكر جايمس بانتمائه لها.

بدا ذلك واضحاً على جيسي التي قدمت الوجبة وبقيت قدر الإمكان في الغرفة، عيناها التقتا جيما بأسف، «تصرفي وإلا فقدته.» مما زاد من إحباط جيما، أحست

انها تحت تأثير ضغط لا تدري معه شيئاً. عينا روما الزرقاوان راقبتاها لتحسب أي هفوة قد تصدف، وجايمس لم يشح بنظره عنها.

قالت روما فجأة قاطعة حديثها: «هذا عقد جميل يستحق أن ينسخ عنه، في الواقع، في إمكاني تمييزه عن أي تقليد متقن.»

«هل ستدخلين ميدان المجوهرات، يا روما؟» سألها جايمس بهدوء، غير مكترث، لملاحظتها باتجاه نظراته.

بدأت روما تمطره بمعلومات متناسية وجود جيما. كانت تفكر في إنشاء دار أزياء خاصة بها، تصمم الملابس بنفسها وتضيف افضل مبتكراتها إلى فروعها الفخمة. «لِمَ لا، يا حبيبي؟ مجوهرات الملابس هي هوس النساء، اتعلم، أظن بانها توفر عائداً محترماً لأي رأسمال يوظف لها.» وحوّلت نظرها فجأة إلى جيما: «هذا العقد يبدو حقيقياً. من اين جئت به؟ يمكنني أن اتعامل مع محل كهذا.»

كان وقتاً ملائماً لتقول برقة: «جايمس اعطاني إياه» ولكن جيما الآن تناست المعركة الصغيرة في المطعم، والكلام لا يريد أن يخرج من فمها. وكل ما كانت تريده الآن هو رؤيتهما منصرفين لتخلد إلى فراشها. قال جايمس: «في الواقع، أنا اشتريته لجيما ربما لم تلحظي أن لها عينين زرقاوين مميزين، شيء غير معقول. العقد زاد من روعتهما وبرغم ذلك لست متأكداً بما...» أشارت روما وعيناها على وجه جيما، وتابعت: «قد يحرجها، على ما أظن.» الم تلاحظ المكانة التي توضع فيها المرأة عندما تحصل على شيء كهذا؟»

علق جايمس: «في الواقع، أنا لم ادفع به إليها.» ببساطة، ثبته حول عنقها، وهي تعرف لماذا.» اضافت جيما بسرعة: «جايمس كان صديق والدي. وهو يساعدني لكي أقف على قدميّ ثانية.» تمتمت روما، وعيناها كالزجاج الأزرق: «لم اعهده طيباً من قبل، مع ذلك، تبدين منكسرة وصغيرة.» قالت جيما ببرودة: «ضعيفة.» بدت مرتعدة وكأنهما ينظران إليها كطريدة. هنا على مائدتها! لا، ليس كذلك. إنها مائدة جايمس ساندرسون، الآن اضافت جيما: «إن كان طيباً معي، فذلك لفارق السن بيننا.» ابتسم جايمس بسخرية، ولكن روما استعدت لهجوم، إذ أنها لمست الحدة خلف الرقة، وبعدها تجنبت التحدث إلى جيما. ولم يلطف جايمس الأجواء، جلس ينظر إليها وكانها غبية. وصمم على ترويضها قبل أن يضعها في قفص.

الفصل الرابع

حين همت روما بالإنصراف عند الساعة العاشرة، كانت جيما قد وصلت إلى حالة تريد معها الصراخ والبكاء واستأذنت لعدم تمكنها من اصطحابها حتى الباب، بلطف. ولكن جايمس فعل، ولم تتمكن من الذهاب إلى الفراش لأنهما ما زالا واقفين في القاعة يتمتمان! وبلمحة رأت روما تلف ذراعيها حول رقبة جايمس، فدلفت إلى غرفة الجلوس، ومضى وقت إلى أن سمعته يدخل المنزل. توقعت أن تراه ملطخاً ببقع من احمر الشفاه ولكن لم يكن كذلك. نظر إلى وجهها المتلبد ولم يقل شيئاً، قالت بحدة: «سأخلد إلى فراشي.» ومشت لتتركه.

«أيدعو هذا إلى التعليق؟ ربما وددت دعوتي، ولكني اشك.»

قاطعت كلامه: «يمكنني ان افعل دون تلميحات كهذه. لقد امضيت مساءً مضجراً وقد اتعبني اكثر من حفل راقص صاخب. أظن ان الآنسة بريسكوت متعبة أيضاً. كل هذا الخبث الذي في داخلها مغطى بثلج. فكر بما ستكون عليه غداً. اتخيل بأنها ستنهض عند الخامسة كل صباح لتفكر في هذه الأمسية.»

أشارت جيما بحدة: «لم تكن مسرورة بالعقد.»

«حقاً؟ لم انتبه، لا يهم. ستبقى مهتمة ومترقبة. على أي حال لن يكون لديها شكوك ابداً حين اتزوج منك.» قالت

باستعلاء: «عندما تطير الافيال.» ثم غادرت الغرفة. من غير المعقول أن تكون بهذا الوضع، وعليها فقط ملامة نفسها. كان في إمكانها الضحك عليه والإفلات منه. في الواقع الآن وبما أنها تتعافى من صدمة وفاة والدها لا يمكنها النظر إلى الخلف. وتدرك حقاً لماذا لم تخرج في الصباح التالي.

الخوف... انهاها عقلها... الخوف وعدم القدرة على مواجهة الأمور. جايمس واجه الأمور بينما هي مختبئة خلفه. الآن اختلفت الأمور، جيسي مستقرة الآن، وستبقى. عليها فقط أن تعتني بنفسها وفي إمكانها ذلك جيداً. يمكنها بيع مجوهراتها، كان دماغها مخدراً قبلاً ولم تفكر بذلك. خلعت ملابسها واستحمت ولبست ثوباً مريحاً. كم ستجني؟

ذهبت إلى الحائط وازاحت صورة زيتية جانباً، ومدت ذراعها لتطال خزنة صغيرة هناك وضعت فيها كل حليها، داخل العلبة السوداء. تلألأت الجواهر تحت ضوء المصباح. كان هنالك الكثير. لقد اغدق عليها والدها كثيراً، دللها، طالما كانت تماماً كما أراد.

غمرت الدموع عينيها. كان هذا سيئاً لكليهما، كونه لم يستطع التخلص من صدمة وفاة والدتها. وبذلك لم تكن حرة، ولم تواجه العالم. دمية صينية. حملت سواراً من الماس، بريقه يخطف الأنوار. ايمكنها بيع هذه الأشياء؟ ايمكنها التخلص منها جميعاً؟ كل قطعة تذكرها بوقت سعيد في حياتها، دائماً مع والدها. وبأي حال معظمها كان لوالدتها، فردتها متقهقرة.

الأمسية ازعجتها اكثر مما كانت تتوقع. اكدت لها أن كل شيء هنا ليس لها. حتى الآن ما زالت تحلم بأجواء مألوفة،

اما الآن فإنها رأت بأن كل شيء يعود لجايمس: وهل في إمكانها أن لم تبدأ الحرب، الفكرة ارعبتها وخاصة الإحساس الذي اعتراها بأن تُحضن بتينك الذراعين القويتين وتذوب بقوته.

تخيلت وجه روما بريسكوت المتعجرف. هذا ما اراده جايمس على اساس. لقد قاوم للوصول إلى القمة. هو و.. وما بريسكوت. يتكلمان نفس اللغة، وكلاهما متساويان با قسوة والوحشية.

أحست بأنها غير قادرة على النوم. انتصف الليل، وجيما تتململ في فراشها غير قادرة على النوم، قررت أن من الأفضل أن تنهض وتحطم دائرة التخاذل وتعد لنفسها فنجاناً من الشاي. فنهضت من فراشها ومدت يدها إلى ثوب البيت لترتديه، ترددت للحظة، لم يكن ضرورياً، فثوب نومها كان محتشماً، وعلى كل حال، لم تنو أن توقظ احداً وليس من شك في أن جايمس يغط في نوم عميق وضميره مرتاح للأمسية التي حطمتها. جعلتها الفكرة تضم شفتيها بانزعاج. لم تحارب احداً في حياتها ولكنها مضطرة الآن. ليس لتكافوء المبارزة برأيه ولكنه يتعمد أن يدعها تكوّن نفسها بنفسها بالمقاومة.

حسناً، لن تفعل وهذه الأمسية بالتأكيد شدت من عزيمتها. ليس لأنها فعلاً تريد أن تشدها. انها تعلم ما ستكون عليه حياتها معه، أيام من التحقير، امسيات عليها أن تكون فيها مضيفته، دميته الصينية. فكرة أن تكون بين ذراعيه ترعبها.

الظلمة تلف الطابق السفلي من المنزل وترددت في أن

تنير أي ضوء قبل وصولها إلى المطبخ. تلمست طريقها من خلال الأنوار المتسللة من أروقة الطابق العلوي ودلفت إلى المطبخ واضاءته، وهي تحس بأنها فعلت ذلك للأمان. الشعور كله ضايقها، لقد عاشت حياتها كلها هنا والأمان كان موجوداً.

جلب جايمس الخطر والتعاسة، ثم قطعت افكارها. لا، لم يفعل كانت تعيش في عالم الحلم، فتاة غنية لا تعمل شيئاً سوى التظاهر بالإستمتاع بحياتها. لم تتمتع بخصوصياتها. كانت ذكية للغاية تجاه حياة تافهة عاشتها. كانت دائماً ضجرة، ومتوترة تحس بأن حياتها تضيع سدى.

لكنه جلب نوعاً من الأمان، وسيلة للتثبت حتى تتمكن من الاعتماد على نفسها. الشيء الوحيد الذي يشوه الصورة هو رغبته في الزواج منها. وادركت أنه لو اخبرها ببساطة أنه سيعتني بها ريثما تستطيع أن تتأقلم، لكانت شكرت جميله بدل الإحساس الدائم بالخطر وهو موجود. الفكرة غير مقبولة أيضاً. اتعترف بأنها لا تستطيع التأقلم؟ بأنها في حاجة لأحد يرعاها كما والدها؟ هل هذا ما يقترحه جايمس، في النهاية. الأمان والثروة مقابل دمية غبية.

سكبت لنفسها فنجاناً من الشاي وحملته متجهة نحو الطاولة وافكارها منصبة على متاعبها، تتمعن بعمق اكثر من أي وقت مضى في أسباب خوفها من الرجل الحيوي الذي يبدو الآن يحكم حياتها. عندما فتح الباب فجأة ارتعدت وصرخت بفزع ورعب، فانسكب الشاي الساخن على معصمها ويدها وجعلها تتلوى ألماً. فوضعت الفنجان

بسرعة. «ماذا تفعلين هنا الآن؟» وركض جايمس مسرعاً نحوها وشد يدها نحو صنبورة المياه: «عليّ أن استأجر حارساً لك واعطيه لائحة بمصائبك.»

«استطيع الاعتناء بنفسي.» قالتها جيما غير موافقة ومحاولة دون جدوى افلات يدها: «أضف لذلك، لديّ الحرية بأن اتجول حيث اريد.»

انهى بغضب: «مع حارسك. لا اصدق أنك تمكنتِ من السلالم.» كان يمسك بيدها تحت الصنبورة الباردة باندفاع وقاومت دون طائل. «تخدرت يدي» قال متهكماً: «كفي عن المقاومة. المياه باردة، ستذهب اللسعة عن يدك.»

«رائع، سأتذكر هذا عندما سأتعالج من الصقيع. المياه مثلجة.» رمقها وافلت يدها دافعاً إليها بمنشفة ووقف جانباً ليتاملها. «ماذا تفعلين، تهيمين بعد منتصف الليل؟»

«اتناول فنجاناً من الشاي، لم اتمكن من النوم.» وفجأة تراقصت شفتاه بسخرية: «فهمت الآن.»

«لقد كبرتِ وعليكِ الآن النوم وحدك.» تضرج وجه جيما: «لا يحق لك أن تكلمني هكذا.»

«أنا لا اثير أي حقوق، فقط التفاهم. فتاة مثلك يجب أن تكون متزوجة الآن.» علقت جيما وهي تتجه نحو الباب ونسيت الشاي لرغبتها بالهروب: «ربما هذا صحيح. من الغد، سأبحث عن احدهم.»

لو توقعت سخرية ممتعة لتهديدها لكانت حتماً مخطئة، وبدا وكأنه ينقض عليها ويداه تطوقانها قبل أن تتمكن من فتح الباب لتهرب. «حاولي التفكير بذلك وسترين فعلاً ما هو الخطر.» ثم أضاف قائلاً: «لو جال بصرك حول المكتب...»

«لست غبية إلى هذا الحد!» كانت منزعجة من الشعور بالخوف وما زالت تقاوم دون فائدة. حتى أنه لم يلحظ أنه لا زال يحضنها بسهولة وعيناه الداكنتان تنظران في عينيها.

«لا»، واسترخى فجاة من غضبه الأسود: «كنت ساعلم، فأنا اعلم بكل حركة تقومين بها. كل حركة منذ سنتين، كنت لاحظت وجود صديق محتمل.» علقت جيما بسخرية غاضبة: «بالطبع في إمكانك بما أنك متمرس ستعلم في الحال.»

«لِمَ ابدو وكأني السير كالاهاد؟...» ملامحه هدأت ونظر إلى وجهها المنزعج المرفوع إليه.

«اريدك يا جيما، دون الجميع. ربما كنتِ حلماً، ولكني اريد هذا الحلم، فتاة ذهبية تهبط السلالم وتسير نحوي لأني املكها. رأيتك في البدء هكذا، وعندما لم تعلمي، مكثت هناك لفترة قبل أن يقدمني والدك إليك. كنت مع مجموعة الضيوف في القاعة ورأيتك وعندها بدأ الحلم. انتظرتك لكي تاتي إليّ، لا إلى احد اصدقائك السخفاء. يوما ما، ستأتين.» وغاص صوته لينخفض إلى همس ونظرت إلى عينيه الحالمتين الداكنتين وهي تشعر بالانفماس. للحظة فقط لم يكن هنالك قتال في داخلها. كانت تتخيله وهو يراقبها من دون معرفتها. كانت الفكرة تفزعها، اما الآن فتمتعها، التفكير بهذا اراح ملامح وجهها.

«جيما» عندما تسمرت ولم تتحرك، همس باسمها وادناها اكثر منه. لم تستطع المقاومة: «لا تفعل!»

«لن أؤذيك يا جيما» صوته كان ابحّ وهادئاً، وللحظة رغبت بلمساته. وبقوة شديدة دفعته عنها محدقة به بهلع، لم

www.elromancia.com

يكن الهلع من جايمس بل من نفسها، لأنها ارادته أن يعانقها. احست الآن بأنها تخلصت من خطر داهم قسيبت هي نفسها به. للحظة راقبها بعينين ضيقتين، وتحولت النظرة المذهشة إلى غاضبة مشتعلة.

«تظنين بأني شرير، أليس كذلك؟» وتابع بحدة: «قد أكون الأغنى في العالم ولن تنظري حتى ناحيتي. أنت متقوقعة كطبل، وكل شيء بالنسبة لك إما أبيض أو اسود، من الواضح أني ظهرت من الناحية السوداء.» أنا... لم يكن لأن... أنا... أعني...»

«كفي عن الإرتعاد وعودي إلى سريرك.» واستدار بإحباط ووقفت تنظر إليه لاحول لها ولا قوة لدقيقة قبل أن تنصرف مطيعة. كل نبضة من جسده كانت تظهر الغضب. كانت ترتجف مرتعدة لأنها احست برغبتها نحوه. كان كموج البحر الداكن، عاصفة وراء المحيط ولن تحيا ان استسلمت. سوف تصبح عبدة من دون تفكير، بينما سيتابع رؤية نساء مثل روما بريسكوت، فأسرعت إلى غرفتها، محكمة إقفال بابها بالمفتاح لأول مرة في حياتها، واسطلقت لساعات في فراشها من دون أن تسمع خطوات جايمس وهو يصعد للنوم.

عندما استيقظت في الصباح التالي كان قد غادر وكل ما عرفته أنه غادر ليل أمس، ربما ليوقظ روما بريسكوت وينشد الراحة هناك. تعجبت جيما كم سبب لها هذا من ألم. وقادت سيارتها نحو لندن بعزيمة لم ترها من قبل، متخلية عن ارهاقها ومصممة على مواجهة جايمس ببرودة، لم تجده هناك، ووصلتها الأخبار بأنه سافر إلى اميركا من

دون أن يمر بالمكتب، خيبة املها اجفلتها وكانت شبه تائهة عندما ذهبت للغداء.

اختارت مكاناً قديماً ألفته، مطعماً ايطالياً، حيث تعودت أن تأتي مع اصدقائها. واصبح واضحاً بأنهم تواروا عن الأنظار. لقد اطاعت جايمس بصدق وقاومت رغبة الإطلاع على الصحف بعد وفاة والدها، ولكنها عرفت من نظرات الغضب في عيني جيسي التي تحتوي على كل ما نشر.

هناك الشركة اولاً، من الجلي أنها خسرت كل شيء لأن اللغط لف المدينة حين توفي والدها. لم يفتهم حتى طريقة حياته، الكلمات كتبت والظنون ظنت، والآن اصبحت من دون اصدقاء، لا دعوات إلى المسرح أو الرقص. ليس لأنها ترغب بذلك، ولكن هذا يضيق عليها الخناق ويدفعها إلى الحقيقة الكامنة في ان لديها جايمس ولا احد سواه.

لعنت غباوتها بالقدوم إلى هذا المكان للغداء وحدها، حين مشى في أثرها شاب اشقر الشعر. كان سايمون كراينجر، خرجت معه سابقاً لفترة من الزمن حتى تم تعيينه في الخارج من قبل شركته. ربما عاد حين سمع بالأخبار. نظرت في الصحن أمامها دون حراك. آملة في أن لا يراها. لم ترغب في احراجه، كان يروق لها، ولا تريد أن ترى التغيير الذي اعترى ملامحه حين شاهدها. «جيما؟» لقد رآها وهب باتجاهها «ما هذا؟ أنتِ هنا وحدك؟ أجيبي بسرعة لأني ارغب بالإنضمام إليك.» احست بالامتنان لأنها عوملت كإنسانة وليس كدمية من دون عقل. وابتسمت له ابتسامة دافئة ومرحبة.

«سايمون! آه، إنضم إليّ. لقد مرت فترة طويلة منذ افتراقنا.»

«سنة وأسبوع وثلاثة أيام.» وجلس مواجها لها، وتابع: «أنا في إجازة، لدي شهران، عدا، أسبوع وثلاثة أيام. علمت أن شركته قد ارسلته إلى اوستراليا. فقالت له: «من الواضح أن الحياة هناك ناسبتك.»

همس بتفكير: «على ما اظن. لا تدعي ريح الثقة تخدعك. فلطالما كنت ارتاح حين اراك، وما زلت باقياً على شعوري حتى الآن.» لزمن كانت هذه الأمور تحرجها، أما الآن، فلا. ادراكها لذلك اشعرها بالقوة وقد لاحظ ذلك.

سأل بهدوء: «كيف حالك؟ سمعت عن والدك. أنا آسف، يا جيما.»

علقت برقة: «ربما لم تسمع بكل شيء.»

«أظن نعم، ما الفرق في هذا؟ احببته برغم أنه شذرني لمرة أو مرتين، وربما ظن بانني ساغويك يوماً ما، وهذا ما لم اكن عليه يوماً. كيف تتدبرين امورك؟»

«اعمل في الشركة.» ولم ترد اطلاعه بانها تسكن في «الدروب الساطعة» وبانها جزء من المساومة. سيرحل سايمون ولن تراه ثانية على الأرجح، في الوقت الحاضر لا ترغب في أن تختلق أكاذيب ولن تطلعه لماذا ما تزال في حماية البيت القديم.

«عمل؟»

بدا فجاة مندهشاً بينما سيطرت هي على ثورة انزعاجها. ماذا ستتوقع، بعد ذلك؟ لم تعمل سابقاً إلا في المنزل كمضيفة لوالدها. «حسناً، لم أترك في رخاء.»

قالتها بضحكة، ولكن وجهه قلب وضغطت يده على يدها بقوة وقال: «اتكرهين ذلك، يا جيما؟»

«على الإطلاق، احب ذلك، لأنه نوع من الحرية.» وكان ذلك فعلاً ما أحست به. وجد سايمون أن هذا يثيرها، وراحتها، غيّر الموضوع:

تكلما كصديقين قديمين، إلى أن احست بأنها مراقبة فاستدارت، كانا هناك، جايمس مع روما بريسكوت، ورؤيته بينما كانت متأكدة بأنه في أمان في الجهة الثانية من الأطلنطي، اصابت وجهها بشحوب وطوقتها من الداخل، ماذا يفعل هنا؟ هل هي مصادفة؟ ام أنه تبعها؟ لم تعرف ما إذا كان هنا عند دخولها، لأنها أدركت خطأها بعد ذلك، ولأنها ظلت مطأطئة الرأس طوال الوقت كطفلة صعبة.

تبع سايمون نظرها وأشار بغيظ: «أما زال يحدق بك؟» استدارت ونظرت إلى العينين الرماديتين المنزعجتين:

«يحدق، حسناً، لطالما فعل. احد الأشياء التي اهبتني غيظاً ومنعتني من القيام بأي دور في «الدروب الساطعة» كان ساندرسون هذا، دائماً هناك، ودائماً يراقبك كالملاك الحارس. لو لم تكوني مميزة بالنسبة له، لكنت مجنوناً كالجحيم.» سألت برقة: «بأي حق؟» وكان جايمس يحوم حولها بنظره، وروما مسرورة، صممت النية على المغازلة لتظهر له بأنه ليس الرجل الوحيد في حياتها الصغيرة الجميلة. قال سايمون بهدوء ووجهه الجذاب يهدأ: «من دون حق، فقط بأمل ظننت بأني ساخلي الساحة لوجودي خارجاً.» وغطت يده يدها على الطاولة، وتابع: «ثلاث

سنوات فقط يا جيما، وقد انهيت واحدة منها. سأعود لأعمل في لندن بعدها.»

أضافت بسرعة: «ربما افتقدت اوستراليا.» لم تكن تعلم إلى ما يرمي. فجأة بدت صعبة، تقاليد سيرتها السابقة هبت لمساعدتها قال لها: «ظننت بأنك تبدلت، ولكن يبدو غير ذلك.» أضاف ببسمة ساخرة: «ما زلت جيما القديمة تحملين الناس بكلتا يديك. لتتصالح.» أضاف وهو ينظر إليها بتفحص: «طالما أنا هنا اخرجي معي، إن رغبتِ، من يدري ماذا سيحدث؟» قالت بهدوء: «اود ذلك في الواقع، افتقدتك يا سايمون» بدا التأثير واضحاً عليها وكانت تدري ما تفعل ولكن الوقت قد فات الآن واملت بأن لا يكون راغباً بها بجدية. رافقها خارج المطعم ثم إلى سيارة الأجرة بطريقة مميزة مما اربكها «سأتصل بك غداً في العمل.» وعد بذلك وقبل أن تمنعه من ضمها بقوة وعانقها.

عندما توقفت سيارة الأجرة امام مبنى الساندرسون ليل، كانت سيارة المرسيدس الفضية وراءه وخرج جايمس منها قبل ان تدفع جيما لسائق سيارة الأجرة، دفع جايمس بدلاً منها وصرفه بإشارة منه، «اصعدي إلى سيارتي» قالها غاضباً وممسكاً بيدها بحزم كالمعهود أجابته: «عليّ أن أذهب إلى مكتبي الآن... أنا...»

«عليكِ أن تفعلي ما يقال لك.» قالها زاجراً ودافعاً بها إلى داخل السيارة الفخمة الدافئة.

«أنا هنا المسؤول، إن سألك أحد قولي له ذلك. من كان رفيق فترة غدائك؟» أجابته بارتباك: «صديق قديم ولست أرى ما...»

«لا اصدقاء قدامى، يا جيما.» وادارها لتواجهه واصابعه القاسية على فكها السفلي.

«اعطيتك الوقت الكافي، ولكن اصدقاء رجال! لم يكن هذا جزءاً من الاتفاق. سنتزوج، والاستعراض انتهى.»

«لن اتزوج منك، أنا وسايمون صديقان من سنين، وكنت اخرج معه بانتظام قبل أن ينتقل إلى اوستراليا.»

«نعم، انكر. كنتِ تخرجين معه أكثر من غيره. لم يعجبني ذلك وقتها ولا الآن، اتركيه وإلا ارسلته إلى القمر.»

«ليس لك سلطة على سايمون.»

«لديّ معارف في اوساط رجال الأعمال الكثيرين وهم يودون تقديم خدمات. اتركيه أو انه سيوضب حوائجه ثانية.» أجابته: «لا يمكنك أن تفعل هذا بي...»

«اقدر وسأفعل، تركتك تلهين لفترة ولكنك لي ولا تنسي ذلك.» وفجأة شدها نحوه وطبع على خدها قبلة، وفتح لها باب السيارة وتركها تخرج. «أنا مسافر إلى الولايات المتحدة، ركزي على هذه اللعبة التي تقومين بها، وانسي امر كرينجر، لأني سأعود.»

بهذا التصريح المهدد قاد سيارته ببطء نحو الشارع، ووقفت بقدمين مرتعشتين تراقبه وهو يرحل. أدركت بأنها لن تخرج من هذا المأزق رابحة. ماذا سيحصل بعد عطلة الميلاد بعد كل هذا؟ شيء واحد اكيد، ستكون بعيدة من هنا وبأمان، وجيسي لديها من يهتم بها. كيف اقحمت نفسها في هذه المتاهة؟

بعد شهر، وجدت جيما نفسها مجبرة على العمل مع جايمس. كان متحكماً وبارداً، يتصرف وكأن لا شيء

بينهما ولا أي نوع من الاتفاق. لقد عملت بجهد وجايمس كان يطلب تقارير عن تقدمها حتى أن كل فرد من أفراد الأقسام، بات يفكر بأنه إما جيما ليل تُعد لمنصب كبير أو أنها تنفذ عقاباً.

بالطبع، لم يقل احد شيئاً، كان هناك قدر كبير من التعاطف الصامت الذي ادفاها. ولا شيء في جايمس ادفاها، منذ عودته من اميركا كان قاسياً وبارداً، يكلمها عند الضرورة ويتجاهلها طوال الوقت، وفي غضون شهر عملت في إدارتين.

الحضور إلى مكتبه يشل اعصابها، خاصة عندما كان يتكلم على الهاتف، دخلت واوما لها بالجلوس دون أن ينظر إليها. وجدت نفسها تراقبه كالعادة للطريقة التي كان يحاول بها تمويج شعره الأسود بينما بقي مطبقاً على رأسه. كان يعطي ملاحظات سريعة ثم اصغى وبدا أنه نسي وجودها. ثم اعلن بحزم، منتهياً ورامياً بقلمه على المكتب: «ستنقلين إلى هنا.»

«لست مستعدة.» ردها المتارجح ازعجه، ولكنه كظم غيظه ليبديه من عينيه وصوته المتمالك. قال بحدة: «أنا مستعد. أريدك حيث أستطيع رؤيتك، إن لعبت هذه اللعبة حسب الأصول، سابدأ بتعليمك ما يجري هنا. ابتداء من الغد ستكونين مساعدتي الشخصية.» وكادت أن تنقض عليه «أنا؟» إنه شيء حتى انها لم تفكر به. حتى انه فوق استطاعتها. «أنا... أنا لا اعلم كيف ابدأ. أنا... أنا كنت فقط...» وقف بحركة تدل على الضجر وكان مستحيلاً التخيل أنه فعلاً يذوي الزواج منها، إنه فقط

المسؤول بكل تاكيد، الرئيس المسؤول، وكان ملفها في يده.

تامل الأوراق وجلس إلى المكتب: «كنتِ جيدة جداً في كل دائرة وأنا لا اعلن الآن أنك محاسبة أو أي شيء آخر. من الواضح أن ضربك على الآلة الكاتبة كان جيداً، ويمكنك استعمال الكمبيوتر.» رفع بصره وظهر شيء من الإحباط على وجهه مما راق لها. «لم يكن لديّ فكرة إلى أي مدى أودت بك دراسة الأعمال، لم اكن لأتصور أنك تطبعين على الآلة الكاتبة.»

«أخذت دروساً إضافية في الطباعة والكمبيوتر. أخذت دروساً مكثفة، والدي لم يعلم عن هذا ايضاً.» ضاقت عينا جايمس لهذا الاعتراف. ولدقيقة نظر إليها ببساطة لكن من دون تعليق، ثم اغلق الملف ومال نحو المكتب ينظر إليها بينما كانت تجلس على حافة الأريكة كموظف صغير يجري مقابلة.

ذكرها: «تريدين فرصة تريدين أن تتعلمي العمل وأنا وعدت بأن اكون صادقاً. أنا باقٍ حتى النهاية محافظاً على الاتفاق. لنرَ كيف ستتدبرين امرك لتكوني مساعدتي الشخصية.»

«ما علي فعله؟» كان ذلك ممتعاً ومذهباً قليلاً، إذ انها لم تتحمل مسؤوليات في حياتها سابقاً، ثم انها لم تستسغ كلمة «صادقاً.» لم تعتقد أنه سيعتبرها صادقة إن علم بأنها كانت تخرج مع سايمون بانتظام عندما كان في اميركا. كان مقرراً أن تذهب للغداء مع سايمون اليوم. في الواقع يبدو ذلك مستحيلاً إذ أنها مراقبة من عين النسر.

«ماذا عليك أن تفعلي؟ لماذا، كل شيء، يا آنسة ليل. كوني واثقة. ستكتسبين وتستمرين. ان صعبت الأمور عليكِ لا تنسي بأني وعدت بالاحتفاظ بك.»

هناك طرق على الباب، وادخل آرشي سويفت رأسه من خلف الباب، وجوده انقذ جيما من العينين الداكنتين. «هل استطيع رؤيتك جايمس؟» كان بديهياً أنه منزعج مما دفع جايمس بأن يتوجه إلى جيما. «هناك مكتب حضّر لك، الأول إلى اليسار بعد مكتبي انتقلي إليه الآن، سأراك لاحقاً.» كان عليها أن تحيي آرشي سويفت، وخرجت مسرعة. آرشي سويفت مهندس لاحد المشاريع، وعلمت من تعابير وجهه بأن هنالك مشكلة، مما اعطاها فسحة للتنفس.

مساعدة شخصية! لو استطاعت أن تقوم بذلك لامكنها أن تجد وظيفة في الخارج بسهولة. مساعدة شخصية للمدير العام. الأمر يبدو حسناً لأي طلب توظيف، واحتارت فيما إذا جايمس سيعطيها إفادة خبرة وتعريف؟ لقد وعد أن يكون صادقاً. على كل حال، لا تظن بأنه لم يحسب حساباً لهذا الجزء من الاتفاق. برغم ذلك فهو ممتع، فقط لو استطاعت السيطرة على اطرافها المرتجفة ستتمكن من ذلك، بكل تأكيد.

لم يكن لديها الوقت لشرب قهوة الصباح. كانت ترتب امرها وترتشف شرابها عندما رن جرس الهاتف الداخلي، وقال جايمس ببرود: «احضري قهوتك إلى هنا، يا جيما.» ولكنها لم تحضرها ودخلت في الحال مندهشة لرؤية آرشي سويفت هناك والإثنان منكبان على رسم أزرق. «مشكلة في بناء وست فيلد.» صرخ جايمس بينما كانت

تدخل الغرفة: «نحن ذاهبان إلى هناك الآن وستأتين معنا.»

كان يقصد بناء المكتب الفسيح قيد الإنشاء، وعلمت أن المكان بارد كالثلج في تشرين الثاني - نوفمبر، وعليها أن تتصل بسايمون لتلغي موعدها معه. لربما تأخرت.

«سأحضر معطفي.» همست بطاعة لتحظى بنظرة مشككة من جايمس ومشفقة من آرشي. «الطقس بارد هناك.» اعلنها ببسمة عابرة ونظرة غريبة لجايمس.

«يمكنها أن تتلفح لتدفأ.» تمتم جايمس مضيفاً بينما كانت تسير نحو الباب: «أحضري دفتر ملاحظات ربما تطلب الأمر هناك.»

علمت من وجه آرشي أن هذا غير ضروري، ويعني فقط، أنها أزعجت جايمس بطريقة ما وهو يحاول معاقبتها بأن يجمدها. هرعت إلى الهاتف حال وصولها إلى غرفتها اعلنت بنفس متقطع حين رد على الهاتف: «سايمون، لا يمكنني موافاتك للغداء.»

«آه، أرى أنك سئمت مني، هل حقاً؟» بدأ يعاتبها بمتعة. لاحظت الانغماس التملكي مما دعاها للتوقف كي تفكر ولكن ليس لديها الوقت لتناقشه. «إنه فقط، عليّ أن اغادر إلى احد مواقع البناء.»

«ماذا؟ البرد قارس يا جيما. لأي شان أنت خارجة الآن؟ لستِ مهندسة ولا عاملة بناء.»

«أنا مساعدة شخصية، نلت ترقية.»

«مساعدة لمن؟» سألها بلهجة هادئة كمن يحذر.

«جايمس، طبعاً» لم تكن تعلم أن في صوتها نوع من

المتعة، ولكنه علم وعلى الطرف الآخر للهاتف الوجه الصبياني تلبد بالغضب.

«ما هي لعبته؟» أضاف: «لن تكوني مساعدة شخصية حتى لو عشتِ لسن التسعين.» تسمرت للحظة، هذا لم يعد طبيعياً بالنسبة إليها. الفترة التي امضتها مع جايمس غيرت من تطلعاتها دون أن تلاحظ ذلك. سايمون كان يتكلم عنها وكأنها نوع من الفراشات الإجتماعية لا يعمل دماغها.

«اعلم اكثر مما تظن» اخبرته مقاطعة: «على كل حال لم اتصل لأقول لك هذا. اتصلت لأعلمك بأن موعدنا قد ألغي.»

«جيما، أنا آسف، اعلم أني ازعجتك ولكني لم أقصد...»

«سأتصل بك لاحقاً. قالتها باستخفاف ملاحظة بأنه قد جعلها تتكلم لمدة طويلة. «الوداع، يا سايمون.» عندما اعادت سماعة الهاتف كان جايمس واقفاً عند الباب ووجهه مرعب كالرعد الأسود، لم تقل كلمة. عندما ارتدت معطفها وحملت دفتر ملاحظاتها وحقيبة يدها نظر إليها ونصحها بأن تجلب وشاحاً، بعدها وجدت نفسها تصحبه إلى المصعد.

كان البرد قارساً عند ورشة البناء وجيما توقعت أن يكون هناك شيء بخصوص الطين أو العمق، فالمطر غمر الثقوب. تمسكت بمعطفها ولحقت بجايمس. كانت تدوّن الملاحظات عندما يصدر الأوامر إليها. لقد تعودت على حيويته الباردة ولكنه الآن جاف كلياً وافترضت بأنه منزعج بخصوص سايمون. بعد فترة بدا وكأنه اسقطها من حساباته وعلمت بأنها دون نفع هنا على أي حال. إنه ببساطة يظهر لها بأنها لا شيء إلا ما أراد، مضيفته ووالدة طفله.

غمرتها الفكرة بألم داخلي غريب ولم تتمكن من النظر إلى جايمس إطلاقاً، لأنها تتخيل رأيه. طفل أسود الشعر وعينان بنيتان داكنتان، كان المشهد يهزها ويفتك بها. بطريقة غريبة فكرت لاحقاً بأن البرد واحساسها المخدر جعلاها غير مهتمة. لم تكن حتى تنظر أين هي ذاهبة، عقلها لم يعد يهتم بمتابعة جايمس وتعلم المهنة، كانت ببساطة تفكر به بعمق. وإذا بلوح يخترق نسيج القنّب المزفت فداست عليه من دون انتباه. سمعت صرخة، ربما اكثر في الواقع، وأحست بالعالم يدور من حولها، حين وجدت نفسها تنزلق واللوح يتهاوى، كان مستحيلاً أن تنقذ نفسها، فوقعت لمسافة بعيدة نحو حفرة.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

تسمرت جيما للحظة غير قادرة على الحراك مستلقية على ظهرها في الوحل المبلل ومحاطة به، عيناها ترقبان جايمس بطريقة مهزوزة وبدلته الجميلة مغطسة بالوحل، كما كانت حالها.

«هل أنتِ بخير؟» وبسهولة جثم على الوحل ويداه ترفعان رأسها، المياه الموحلة البنية تنساب من شعرها. سألها مجدداً: «جيما، هل اصبتِ رأسك؟ هل تأذى ظهرك؟» حينها فقط ادركت عمق الحفرة، الأنابيب الثقيلة ملقاة من طرف إلى طرف، ومن حسن حظها أنها على الجانب الآخر، عدة أقدام أخرى وإلا كان قضي عليها، ازداد وجهها شحوباً وهزت رأسها قائلة:

«أنا... أنا بخير، أنا لم انتبه.» كانت تثير الشفقة. كم بدت ضعيفة، واحست برغبة في الارتياح ودفنت وجهها على صدره غير آبهة ان أحب ذلك أم لا. «احضروا سلماً إلى هنا!» صرخ جايمس فاقداً صبره حيث وقف الرجال ينظرون إليهما بارتعاب: «تبدو بخير ولكن علينا الخروج من هذه الحفرة اللعينة.» كان يحملها باعتناء وكانت واهنة لدرجة أنها لم تستطع مساعدته بينما يحاول الصعود بها، يبدو أنها غير قادرة على فعل أي شيء سوى التعلق به. بقيت هكذا حتى اوصلها إلى السيارة ولف معطفه حولها حيث عادت لوعيها

ولاحظت أن وجه جايمس كان شاحباً من الصدمة، كان محبطاً.

«ماذا هناك؟» اطل آرشي ونظر من خلال النافذة، ومشكلته لم تحل. «افعل ما تراه مناسباً.» امره جايمس وصرخ بغضب: «آه، اللعنة، عليّ العودة.» قاد السيارة مسرعاً بينما جيما لم تجرؤ على سؤاله إلى اين، لقد اقترفت الذنب الفظيع ودون ريب سيقول لها ذلك دون رحمة عندما يتأكد أنها غير مصابة.

قاد السيارة باتجاه مستقيم وبعد هنيهة وجدت الشجاعة لتسأله إلى أين يتوجهان. قال بجفاء: «شقتي إما شقتي أو المستشفى العام. إن كنتِ على ما يرام سأعود إلى العمل.» اقلقها هذا ولكنها ادركت أنه منطقي ولم تتمكن من السيطرة على ارتعادها. كانت مبللة، موحلة، وبائسة. ولم يكن جايمس في حالة تسمح له بالعودة إلى المكتب، لقد بديا كمن كانا في ساحة حرب. عندما وصلا، اصطحبها إلى الداخل، وكانت سعيدة لقلة الناس عند المبنى. كانت المنطقة ذات مستوى راقٍ والسكان لم يألفوا رؤية شخصين ملطخين بالوحل يدخلان إلى المبنى الفخم من قبل.

قال آمراً بينما وقفت تنضح ماء موحلاً على الأرض اللامعة في الصالة: «خذي حماماً هناك غرفة للضيوف وأنا ساستحم في حمام غرفتي.» كان غاضباً وأشار إلى الباب المطلوب، فمشت نحوه مترنحة، ما تزال تحت تاثير الصدمة. قال بحزم: «أيمكنك تدبر أمرك؟ هل يؤلمك شيء.» وتوجه نحوها مسرعاً وامسك بذراعها ليديرها نحوه. أجابته: «نعم، يمكنني.» وعيناها ترفضان ملاقاة عينيه.

اذا كان ثمة شيء قد أصيب بسوء فعلاً، فهو كرامتها، وعلمت أنها سوف تتأذى أكثر حين يقرر أن يعطيها مواعظه. شعرت بأنها غير متمالكة نفسها، جرحت بسخرية من تصرفاته.

كان اهتمامه افضل لو تعلق الأمر بغريب. انها معجزة إذ أنها لم تقتل، ولكنه تناسى وكأنها تعمدت ذلك لإزعاجه. لم تكن تدرك لماذا جرحها عدم اكتراثه، رفعت نظرها نحوه وعيناها بحالة يرثى لها، حين التقت عيناه. وكان وجهه مكفهراً أكثر من ذي قبل وقبضة يديه على يديها تؤلمها: «انظري، خذي حمامك وبعدها...» وتوقف عن الكلام حين رأى عينيها تنظرانه بتعاسة. وتذمر قائلاً:

«اللعنة! ماذا عساي أن افعل بك؟» فرفعها، حاملاً أياها إلى غرفة الضيوف واوقفها في الحمام ثم فتح صنبورة المياه. كانت غير مدركة حين خلع عنها سترتها ورماها إلى حافة الحوض. فهمست: «جايمس!» وجهها الشاحب ونظرتها المأساوية تحولت إلى مفترسة، شرسة، قاطعها: «ماذا يفترض بي أن افعل، اقف وادعك ترتجفين برداً؟»

«أنا... أنا استطيع تدبر امري.»

«نادني لو لم تستطيعي.» تردد للحظة كي يقرر ايتركها أم لا، لكنه استدار وخرج. للحظات، كانت تتحرك ببطء وصعوبة، ثم وقفت تحت الماء الساخن واخذت تفرك جسدها وتنظف وتغسل شعرها الموحل، حتى عاد إلى لونه العسلي، هنالك خدشان في وجهها وفي رجلها كدمات. على العموم، لقد نجت باعجوبة، وهي تدرك ذلك. احست بقشعريرة اعترت بشرتها كلها على الرغم من دفء المكان،

ولم يكن لديها ما تلبسه، نظرت جيما بإحباط حين راودتها هذه الفكرة المخيفة، ثيابها المبللة والمتسخة كانت في وعاء على الأرض. فتوجهت نحو الباب: «جايمس؟» صرخت من خلال فتحة الباب ولكن لم يأتها أي رد. فوضعت منشفة كبيرة على جسمها، ورجعت إلى الباب ثانية لتصرخ مرة أخرى، فهرع مسرعاً بطريقة أذهلتها: «ما الأمر؟» كان قد استحم، واصبح نظيفاً. تراجعت إلى الخلف متمسكة بالمنشفة وهي مرتعدة داخلياً. وهذا الشعور لم يكن له أي علاقة بالحادثة التي مرت بها.

«أنا... أنا بخير... إنه... إنه فقط... لأنه ليس لديّ ما ارتديه.» لم تستطع أن تشيح نظرها عن العضلات المتماسكة، والبشرة الرقيقة المشدودة والشعر الأسود المتبعثر، بدا اطول لها نسبة إلى أنها تقف حافية على الأرض مغطاة بمنشفة، وتلون وجهها حين ادركت انه يتأملها ببساطة ودقة ولم تستطع ملاقاة نظراته.

ونظر إليها بتفكير وعيناه على وجهها المضرج احمراراً، وقال: «لم انس هذه المشكلة الصغيرة ملابسك ستنظف، لا يهم في الوقت الحاضر لأنك باقية، بينما كنتِ تأخذين حمامك حضرت لك السرير.» فشعرت بأنها علقت بمصيدة، وصرخت بسخرية: «اريد أن ارحل.» كان صوتها صارماً ومصمماً، فتقدم نحوها كنمر مفترس ببطء وخطورة. واجابها: «ستذهبين إلى الفراش! لقد تعرضت لصدمة قوية، وبرغم ذلك اظن أنه يمكنك التدبر دون طبيب، ولا مجال لخروجك.»

«شعوري أنا ادرى به، لن تحتجزني هنا!» شعرت بأنها

ضائعة وإن لم تقاومه لا تعلم ما ستفعل. واحست بأنها تريد أن تلمسه وتمرر يديها على الجلد البني، مما اخافها، كونها لم تلمس رجلاً من قبل في حياتها.

«احتجزك؟ كنت ستقتلين نفسك اليوم من دون أي سبب. ان كان هذا تفكيرك، سنلغي الاتفاق ونحلّ زواجنا.» صوته البارد اعادها إلى الواقع. أعادها إلى الأفكار الخطرة وغاصت فيها. ثم صرخت: «سيكون هنالك زواج، ولكن عندما أتزوج لن تكون أنت.» وكأنه يهددها وبدا متحيراً للطريقة التي ترفضه بها: «أتنوين الزواج من كراينجر؟ الأفضل أن تتنبهي، فما يجنيه لا يكفي لشراء قرط من اقراطك.» لقد اوقفها عند حدها، كان واضحاً ما يظن بها، ولطالما كان كذلك، على أي حال، إنها مخلوق عديم الفائدة وبحاجة لرجل ذي مال وفير، ولن تسأل عن أي شيء آخر. لم تكن حيوية وناجحة مثل روما بريسكوت، كانت فتاة غنية، والآن فقيرة، فركضت نحوه وارتمت بين ذراعيه متناسية خطاءها الوامي واحراجها السابق.

رأت امام عينيها الوجه الباسم الفرح الذي ابتسم لروما بريسكوت وهو ينظر إليها وكأنها غبية وطفلة. ارادت أن تزيل الصلابة عن وجهه وأن تتثبت به. اذهلته ردة فعلها. فما كان عليه سوى أن يلتقطها بيدين قويتين ليحمي نفسه من الهجوم الذي شن على صدره.

ارتمت على صدره بقوة، فيما كانت قدماها ترتجفان ويداها تلكمانه. وصرخت: «أنا اكرهك، لطالما كرهتك!» والدموع تترقرق في عينيها وتسيل حتى رقبتها. أمرها

قائلاً: «توقفي، يا جيما سقوطك كان مؤذياً وصدقيني، هذا سيضر بك.»

«لا شيء ينفعني، إني راحلة، هل تسمعني؟ سأرحل عن هذه الشقة، وبعدها الشركة، ولست أدري لماذا عقدت هذا الاتفاق السخيف؟ جيسي لا تحتاجني. في إمكاني استئجار شقة. في إمكاني بيع مجوهراتي، لست بحاجة إليك!»

وانفجرت باكية متمسكة بالمنشفة حولها وانحنت منكسرة الخاطر والقلب، كأنها تسمعه يجري مقارنة بين تصرفها الطفولي وتصرف روما المعاكس، كانت خجلة بلوعة من انزلاقها هكذا.

لقد اشعرها بأن لا أمل منها والأمور تزداد سوءاً. لم تخرج عن طبعها، المتحفظ مطلقاً في حياتها، كل ما كانت تفعله فقط لتثبت له ما كان ينوي، والآن، يبدو أن ما يظن بها يعني كثيراً. ضمها إليه لدقيقة بينما هي ترتجف وتحاول المقاومة، والدموع تنهمر على وجهها. قال بحزم: «دعي الأمور يا جيما. توقفي عن المقاومة، عن مقاومة كل شيء.»

قالت بحزن: «تعني أنا! أليس كذلك؟»

تماوجت شفتاه بانزعاج: «ربما أنا. أعلم بأنكِ تكرهينني. لو كان لديّ الاحساس لتركتك ترحلين، ولكني لا استطيع، اريدك لي بأي ثمن.»

وضعها على السرير، وبعد أن تغطت بالملاءة وسحبت المنشفة، كانت الدموع لا تزال تتدفق من عينيها بشدة، رفعت الملاءة إلى رقبتها، بينما كان يضع المنشفة على الكرسي، وقال لها: «ما هذا الجبن؟ ألم تتنبهي إلى أنك تصرخين بي؟» فتحت جيما عينيها وكان واقفاً ينظر إليها،

وتابع: «لنعد إلى السقطة، اخبريني أين هي جروحك؟»

حاولت اغماض عينيها ثانية ولكنه رفع ذقنها واجبرها على النظر إليه «أين بالتحديد؟»

«لا يوجد مكان محدد. أنا فقط مضطربة، أظن ذلك...»

«ولهذا شعرتِ بالرغبة بتنكيري كم تكرهينني؟ أعلم...» ونظر إليها متأملاً، وامتلأت احساساً جامحاً بالإرتعاد، وكل مقاومتها بدأت تنهار وقالت: «أنا ممتنة لكل ما فعلت. ليس عليك أن تهتم بي، أو تعقد هذا الاتفاق... أنا لا انتمي إليك و...»

«لكنك يا جيما، ستتزوج منك.» وجلس على السرير بقربها وتابع: «اظن الوقت حان لنتكلم في هذا الشأن.»

«ليس من شيء نتكلم عنه.» احبت أن تبتعد ولكنها تعي أن كل حركة صغيرة منها تلفت نظره لجسدها.

«ايمكنك أن تذهب وتنظف ملابسي؟ ايمكنك العودة إلى البناء، و... و...؟»

«اتركك؟ لا، لا استطيع، حان الوقت لكي تفهمي، يا جيما، وأنا من سيفعل. ربما لو كانت بدايتي مختلفة لكنت راقبتك وأنت تواعدين كراينجر.» وابتسمت بلطف. ربما لعبت الألعاب السخيفة التي يلعبها. وتابع: «لم يكن لي بداية مختلفة، وهكذا حاربت من أجل ما اريد، والآن اريدك.»

ظل متماسكاً وعيناه الداكنتان تحتويانها، وادركت أن عليها أن تدفعه عنها، لتدافع عن نفسها ولكن الأفكار كانت لثوانٍ تسبح كأوراق الشجر المتطايرة. غمرها شعور بالرغبة في الهروب.

كان يراقبها بتمعن ويلحظ أي تغير في تعبيرها. عيناها

صارتا داكنتين حين كانت يده تلمس يدها بدفء، مما زاد لون وجهها احمراراً.

«هل لمسك كراينجر؟ هل تركته يضمك؟» اصوات منبهة في رأسها بدأت تهمس، تأمرها بأن تؤكد له بأن سايمون كان اقرب لها من جايمس، أفكار المقاومة وحماية النفس مرت قاتمة ولكنها تلاشت بسرعة، حين قال بلهجة آمرة: «أنتِ لي يا جيما. اريدك قريباً، لقد سئمت هذه اللعبة.» وسيطرت قوته عليها وتابع: «دعيني انظر في عينيكِ.» كان صوته خفيضاً منهكاً، آمراً بتردد.

نظرت في عينيه متعجبة من ثقته في نفسه، وتابع كلامه: «لم انس ما قلته لي يا جيما، ما من شك في أنك ستقولين غداً بأني استغليتك حين كنتِ منهكة لا تستطيعين المقاومة. اريدك ساعة تكونين سليمة مئة بالمئة وبعينين منفتحتين باتساع.» ثم نظر إليها وتحرك فتمسكت بيده واسمه يتردد على لسانها فاستدارت عيناه نحوها وقال بثقل: «تزوجي مني يا جيما، ولن تتأذي بعدها.»

لكنها ستتأذى. ستجرح كل دقيقة، لأن جايمس سيكون معها عندما لا يكون مع روما أو مع غيرها. وعندما يتعب منها ستكون كما رآها دمية صينية لا نفع منها، خجلت كما لم تكن يوماً في حياتها.

تمتم بجفاء: «فات الأوان، أنا افهمك واعرف كيف تشعرين.» أضافت ناهرة: «رجل خبير يمكن أن يفعل هذا لأي كان.» انهى بوثوق: «أبداً.»

نظر إلى عينيها المغمضتين بشدة وقال: «من الأفضل أن تفتحي عينيك.» أضاف بمتعة مفاجئة: «عليك مواجهتي

يوماً، والأفضل الآن، أستبقين هكذا مغمضة العينين إلى أن احضر ثيابك؟» ففتحت عينين تتلألآن ونظرت إليه وقالت: «ربما لن اكون هنا. اتوقع أن الآنسة بريسكوت قد تركت بعض ثيابها هنا. سأستعيرها واستقل سيارة اجرة.» ضحك ونظر إلى وجهها المشتعل احمراراً: «يمكنك التفتيش كما تشائين. ابحثي في كل درج، وكل خزانة، مقابل كل قطعة تجدينها سأعطيكِ مائة باوند؟» صرخت منفعلة: «فقط هذا؟ أرى انك ماجن اضافة لثقل دمك.»

«تزوجي مني وستنالين كل شيء، أي حلم يراودك سأجعله حقيقة.»

«كيف ستتمكن؟ سأحلم بسايمون.» بدا غاضباً للغاية حتى انها لملمت الملاءة حولها بحركة مفاجئة من الخوف، وكان كافياً لتتوقف مهما قال لها. تمتم بسخرية: «لا اظن ذلك. من الآن وصاعداً ستحلمين فقط بما جرى هنا.» وضاقت عيناه بمكر.

«لو ظننت للحظة واحدة بأن كراينجر قد فعل أكثر من ان يمسك بيدك لما كنت مستلقية هنا تردين على ثرثرتي.» خرج من الغرفة فقفزت من السرير ولفت الملاءة حول جسمها وبدأت بتفتيش الأدراج بحيوية ملفتة للنظر. عليها مغادرة المكان بأي ثمن. دخل جايمس الغرفة ثانية ووقف يحكم ربطة عنقه ويراقبها بمتعة عارمة. وقال لها: «وفري على نفسك العناء. لا يوجد شيء لفتاة هنا كي ترتديه وعلى أي حال عليكِ أن ترقدي قليلاً تذكري...»

«لا أريد... ولست بحاجة.» واستدارت جيما ناسية طول وضخامة الملاءة، فتعثرت بها ووقعت ارضاً. رفع حاجبيه

بدهشة: «لست متأكداً إن كنتِ مجنونة أم لا.» علق بينما اندفع نحوها ليساعدها على النهوض، ثم رتب الفراش وتقدم نحوها فقالت: «لا تلمسني.» رد عليها: «فقط كمشرف لدواع طبية فقط.»

قبل أن تتمكن من أي مقاومة حملها ورمى بها على الفراش، فنظرت بعينين واسعتين ناسية أن تكون متمردة للحظة. نظر إليها بتمعن، ثم قال بأسف وندم: «أنا آسف.» قالها بينما بدت مندهشة: «آسف لأني اجبرتك على الذهاب إلى البناء، كان يجب أن اكون منطقياً! الطقس بارد وغير محبب ولم احتاجك هناك.»

«إذاً، لماذا دفعتني للذهاب؟» كان يقف ليتمم ارتداء ملابسه، يرتب ربطة عنقه ويرتدي سترته وكأنهما متزوجان. وكانت خائفة من الشعور الدافىء الذي احسته.

«حتى لا تتمكني من الذهاب لموعدك الذي اعطيته... مؤثر، اليس كذلك.» لم ينتظر جواباً، خرج فقط معطياً اوامره كالعادة: «نامي لفترة. لقد وضعت هاتفاً قرب السرير سأتصل قبل حضوري، لست ادري إلى متى سأبقى في المصبغة.» مرة ثانية احست بالإحساس العائلي وكأنها تعرفه طوال حياتها، وكأنها تعرفه أكثر من أي شخص آخر. توقف عند الباب وحدقت به بتمعن. كان يرتدي بدلة رمادية وقميصاً أزرق وربطة عنق مخططة ملائمة، وادركت مرة ثانية أنه دائماً يبدو رائعاً. كان وسيماً، طويلاً، رشيقاً. تساءلت ان كان يدرك كيف يبدو، شعره الداكن مبعثر بإهمال. يداه قويتان وممتلئتان، نعم، ربما يدرك. الغرور يعتريه بتعجرف،

لو كان يعاملها بلطف لتاهت بدنياه إلى الأبد. أمرها: «نامي.» نظر إليها لثانية ثم غادر.

سمعت باب الشقة يغلق بهدوء وبعدها كانت وحدها مع أفكارها. مالت إلى جنبها واغلقت عينيها لتغرق في سباتٍ مريح. عليها أن لا تقع بغرامه، كان هذا آخر خاطر روادها قبل ان تغفو.

ما حدث في شقة جايمس لم يكن له يد فيه، وهذا ما دفعها إلى الشعور بالإنزعاج والتهالك.

بعد مرور أسبوع أو أكثر كان جايمس منهمكاً بالمكتب أو الأبنية، حتى أنها بدأت تشعر بأن ما حدث كان خيالاً، فقط، حين تلتقي عيونهما كانت تحس بأن ما حدث كان واقعاً.

كانت منتبهة إلى أن الأيام المتبقية على حلول عطلة الميلاد تجري بسرعة، عيناها دون شعور ترقبان التقويم الموضوع على مكتب جايمس عندما كانت تجبر على العمل معه.

جيسي ايضاً كانت مترقبة هذا الموعد مشيرة إلى أن الأمور لن تكون نفسها دون السيد ليل، وأنه لن يكون هناك اصدقاء يأتون إلى المنزل.

سألت جيما بحرقة اثناء احدى مناقشاتهما: «أي اصدقاء؟»

لقد اختفوا عندما علموا بأن ليس هناك مال.» قالت جيسي آملة: «حسناً، الميلاد سيفاجئنا، ربما السيد ساندرسون سينضم إلينا؟» أجابتها جيما: «سيكون له مشاريعه، على أي حال، سابقى في لندن وسأخرج مع

سايمون، سيعود إلى اوستراليا بعد عطلة الميلاد مباشرة.» قالت جيسي: «هذا سيدعني بمفردي.» قالت جيما وقد غمرها الأسف: «آه، أنا آسفة، تعلمين اني لن اخرج واتركك وحدك. سنحتفل سوياً، عندما يحين الوقت سنتدبر شيئاً.» حتما الإفتراض بقي غامضاً، فلولا جيسي لكانت جيما خرجت إلى أي مكان حتى نهاية العطلة. لديها ما يشغلها أيضاً، حينذاك سيتم تقييمها، لقد عملت جاهدة في المكتب مصغية بطاعة إلى كل ما يقوله جايمس ومتتبعة اوامره في الرسائل.

كانت ما تزال ترى سايمون ولكنها لم تدعوه ابداً إلى «الدروب الساطعة.» كانت تراه فترة الغداء حين يكون جايمس منشغلاً واحياناً تتأخر في لندن وتحضر معه أحد العروض. لم يكن يعجبه هذا كثيراً.

«لماذا لا احضر إلى «الدروب الساطعة» لعطلة نهاية الأسبوع؟» سألها مرة في فترة غداء بينما كانت تنظر إلى ساعة يدها مترددة وتأخذ حقيبتها. «تعملين كالمخبولة واراك لفترات قصيرة. عطلة نهاية الأسبوع معاً ستكون حسنة لنا.»

بكل تأكيد... كانت تعلم ان جايمس لا يأتي إلى المنزل في نهاية الأسبوع، لكن هذا لا يعني أن لا يظهر فجأة، انه منزله، وجيسي ربما مررت المعلومة بالصدفة أو المحت له بشيء حين يحضر. لا، تلك مخاطرة كبيرة، وستشعر بأنها خائنة لو فعلت ذلك قالت بانزعاج: «لا استطيع دعوتك، يا سايمون. هذا مستحيل. سأل بلهجة متعجبة: «لا يمكنك؟ اتتصورين بأني سأنقضّ عليك؟ لم افعل ذلك

من قبل وأنتِ لست دون رفقة، اتوقع أن جيسي ما زالت هناك؟»

«نعم، انها موجودة، لكن الأمر ليس كذلك. تعلم أني لا اظن بك شيئاً كهذا.» قال مازحاً: «ربما اهتممت بي أكثر لو فعلت، سأمر يوم السبت للغداء، ثم نخرج سوياً من هناك.»

«لا استطيع». رأت جيما وجهه يتجمد، عليها أن تخبره، لا داعي لإخفاء ذلك بعد الآن. كان عليها أن تفعل منذ البداية، ولكنها لم تتوقع أن يكون ملحاحاً على الخروج معها: «لا استطيع دعوتك لأن المنزل ليس لي.» قالتها بصوت مستقر قدر الإمكان، وعلى وتيرة واحدة. «ماذا تعنين، ليس لك؟ أنت تعيشين هناك!»

«فقط حتى عطلة الميلاد، جايمس اشترى المنزل. هو... هو تركني ابقى في الوقت الحاضر.»

«معه؟» وبدا سايمون مستعداً للإنفجار ففسرت بسرعة أو حاولت. «بالطبع لا. جايمس يعيش في لندن. لقد... لقد اشترى المنزل حين توفي والدي وليس لي مكان آخر أذهب إليه، فتركني فيه. بعد الميلاد، الأمور ستختلف.» هذا ما كانت مستعدة للإفصاح عنه، وفجأة شعرت بالإرتياح لأن ليس لديها مجموعة من الأصدقاء، لتفسر الإلتباس الحاصل.

قال سايمون بغضب: «دعيني استوضح الأمور. تسكنين في «الدروب الساطعة» الآن، شكراً لكرم جايمس، وبعد الميلاد سينتهي الكرم؟» قالت بتوضيح: «كان لطفاً منه، على أي حال. سأتمكن من إيجاد شقة لي عندها ثم...»

«شقة؟ بعد ذلك المنزل الكبير؟ كيف أخذه منك؟ بحيلة محكمة، أظن.»

«لقد نسق ذلك مع والدي، كان سيضيع يا سايمون وجايمس اراده، لطالما اراده في الواقع...»

«اراهن على ذلك... وأنت!»

«بالطبع لا، لا تكن سخيفاً.» فاحمرت خجلاً، حينما ادركت بأنها هذه الأيام تكثر من الأكاذيب، الصغيرة والكبيرة.

«سخيف! أنا رجل يا جيما. أعلم عندما يتأملك احدهم بعينيه، وجايمس يفعل ذلك منذ عامين.» استدركت بضحكة: «لا بد أنك مخطىء اظن أن ثمة شيئاً في عينيه. إنها غير معتادة و.. وعلى أي حال، لديه عادة النظر إلى الناس مباشرة.»

علق سايمون: «لم أر ابداً عينيه غير المعتادة، تعري احداً آخر.»

«اتمنى لو أنك لم تتكلم هكذا، انظر، علي أن اذهب لقد تأخرت.» وقفت جيما وانصرفت، بدا متضايقاً، وبدت ضائعة حيال ما تفعل. احست بأنها تريد اخباره بأن الأمر لا يتعلق به. ولكن، اوضحت ذلك كي لا يظن بأنها تريد الخروج معه بانتظام، لتبعد جايمس عن تفكيرها ومشكلاتها الأخرى، الآن احست بأنها وضعت نفسها في مشكلة.

لم يكن جايمس مسروراً عندما رجعت، كانت متأخرة نصف ساعة، واحست من نظراته إليها حين دخلت المبنى ذاهبة نحو المصعد. كان هو ايضاً متوجهاً نحو المصعد ونظر إلى ساعته: «فترة غداء طويلة يا آنسة ليل، اتحاولين ازعاجي.»

«لست كذلك لم استطع الإفلات.» في المصعد، بدا وكانه

برج يطل عليها. «يبدو أن عليّ تذكيرك بأن تسقطي هذا المعجب من حسابك.»

«حسناً، لم أختر بأن اطيع.» واستدارت اليه رافضة أن تكون طائعة: «لماذا التهديد؟ إجازته ستنتهي قريباً.»

«من يهدد؟ وعدت بأن اكون مطيعاً وكدنا نصل.»

«أين؟» ونظرت إليه بدهشة بينما وقف المصعد، فابتسم بوجهها بعينين ساخرتين: «بعد عطلة الميلاد، يا آنسة ليل، ساقيّم تقدمك.» بدا ذلك مزعجاً وجيما كانت سعيدة بأن تدخل غرفتها وتخلو بنفسها لدقيقة قبل أن يكون عليها مواجهته ثانية. ما زالت لا تدري ما سيحصل بعد عطلة الميلاد.

الفصل السادس

لم تسترجع جيما واقعها إلا حين استدعاها جايمس بواسطة الهاتف، وعندما دخلت كان ينظر إليها والغضب والإنزعاج واضحين على وجهه: «أنتِ حقاً تتعلمين، أليس كذلك؟» سألها بالحاح منحنياً على مكتبه ومحدقاً بها من دون اهتمام: «ظننت بأن الزبدة لن تسيح في فمك، ولكني اكتشف خطوطاً جديدة كل يوم. أولاً وجدتك تتوحشين بين يدي ثم تتوسلين، والآن اجدك تميلين عني.» ثم نظر إليها قبل ان يتابع: «لقد تلقيت للتو اتصالاً من معجبك، كما علمت انه يظنني محتالاً سرقت منك منزلك وسأرمي بك خارجاً بعد عطلة الميلاد.» سايمون! هل... هل اتصل بك؟» وقفت تنظر مندهشة، خاصة حين بدا مسروراً بينما كان يجب أن يبدو ثائراً، ربما كان داخلياً هكذا. «هل لديك معجب آخر لا اعرفه؟» تابع قوله بسخرية: «في هذه الحالة إنه كراينجر، من الواضح أنه لا يريدك أن تلقي خارجاً للبرد، دون مأوى، باكية. سيتزوج منك ويأخذك إلى اوستراليا معه.» شفتاه تماوجتا لرؤية وجهها المأخوذ بالدهشة.

«لا تقلقي. فقد اكدت له احتمال بقائك. ورفضت ايضاً طلبه عروضاً عنك. ليس لديه فكرة عن الوضع برمته. قلت له لا يمكنه الزواج منك لأنك ستتزوجين مني.»

«ولكني... لن أفعل.» فاقترب منها، محاولاً تقريبها منه

أكثر: «اتعنين أنك مستعدة للعيش معي فقط، هكذا؟ أنا اريد الزواج منك، ارفض بأن اكون صديقك.»

«لن تكون اي شيء.» قاومت ولكنه ظل ممسكاً بها بأحكام: «بعد عطلة الميلاد سأغادر.» ورفعت رأسها عالياً آبية أن تتهرب من نظراته، فعلت ذلك دائماً ولم ينفعها: «جيسي لا تحتاجني، أنا حرة لأفعل ما اختاره.»

ضغطت يده عليها للحظة بغضب ولكنه سيطر على نفسه ونظر إليها بحيرة. «لستِ حرة يا جيما، تعلمين ذلك، فقط اعترفي بذلك.» لامست انامله خديها: «لقد تغيرتِ يا قطتي، اطليتِ على الحياة جزئياً، وتريدينني، وهذا يغير الأمور لصالحي.»

«أنا لا اريد... اريدك!»

«لا؟» وامسك بها بعنف، وقبّلها. كان ذلك امتلاكاً، واحست برغبة طوقتها كغطاء من لهب، فعانقته. قال لها: «لن انتظرك أكثر يا جيما إلى أي مدى تظنين أن في إمكاني تحمل هذا الوضع؟» أضاف متوتراً: «لستِ طفلة، تعلمين ما تفعلين بي. تتزوجين مني! كفي عن الإختباء، لو اردت أن تستمري في العمل استمري، ولكن تزوجي مني قبل أن اجن.» لم تعرف جيما بما ترد. كانت تشتعل رغبة، بحالة منهارة حتى انها في تلك اللحظة كانت على استعداد لأن تعد باي شيء. لم تتح لها الفرصة، إذ فتح الباب فجأة، وأطلّت روما بريسكوت من الباب، تنظر إليهما بعينين مندهشتين تحملان السخرية المبطنة.

«جايمس، يا حبيبي! بصدق، متى ستكف عن هذا؟ لم اتصور أن نشاطاتك قد امتدت إلى المكتب ومع صغيرتك

المحمية ايضاً! أهذا جزء من برنامج علاجها؟» احست جيما بأن جايمس سينفجر من الغضب ولكنه تركها تبتعد ببطء ورفض ان تبتعد عنه كلياً. يمكنه مواجهة روما ببساطة مدهشة ولكنه لن يدع جيما تبتعد، فالرغبة ما زالت قائمة بينهما.

اعلن برقة: «حاولي أن تحددي موعداً في المرة المقبلة إن اردت مقابلتي، يا روما، بهذه الطريقة لن تصدمي.»

«لم اصدم، يا حبيبي. اعلم أن لديك عدداً وافراً من الصديقات. هذه تبدو وديعة اكثر.» قال بتعنت: «ليس كذلك بالضبط. لقد رفضت الزواج مني، وأنا اقنعها.» وبدت كتمثال ينهار، جيما لم تستطع الحراك، يداه لا تزالان حولها، وبدت حيوية روما تبهت امام عينيها، حدقت للحظة دون أن تصدق ما تسمعه، ثم استدارت نحو الباب ووجهها مكفهر من الغضب. «امتثلي، يا آنسة ليل، افعلي.» اشارت إليه وتابعت: «إنه دائماً ياخذ ما يريد، لم يرد الزواج من أي واحدة منهن قبلاً. لا استطيع أن اصدق أنه سيستقر. اظن أن هنالك مخططاً في مكان ما. الأفضل أن تاخذي الحذر. لا يفعل شيئاً من دون غاية في نفسه.» أغلقت الباب في ما كانت جيما ترتجف من رأسها حتى اخمص قدميها، محدقة بجايمس وكانه من اسوأ انواع الأشرار. كانت نظرة استطاع ان يفسرها ببساطة مما زاد في غضبه.

«لماذا قلت لها هذا؟» همست بذلك وهي تنتزع نفسها من بين يديه. أجابها: «لِمَ لا؟ انها الحقيقة.» ورماها بنظرة غاضبة ورجع إلى خلف مكتبه ليضع مسافة بينهما وتابع: «لا تتوقعي أن تمتد الأمواج السعيدة. روما تلعب لعبة قذرة

لحسابها وهي ملحاحة. تداركت جيما بصوت مرتجف: «لا اهتم لما تقوله، لن اتزوج منك.»

«الوقت يمضي» أضاف بمكر: «قريباً، ساتعب من انتظار يوم الزفاف، للحظات مضت كانت آخر شيء في ذهني. كلانا يعلم ما سيحدث. اخرجي من هنا، يا جيما، قبل أن ابدأ من جديد.»

من الواضح أن جايمس مستعد للإنتظار حتى يوم الميلاد برغم تهديداته، لأنه لم يطالب بحقوقه، حتى أنه اتخذ موقفاً طبيعياً مريحاً حتى تصل جيما إلى وضع مستقر من الإنتظار. منذ المرة الأولى التي رأته فيها كان هناك احساس بالقلق حين يقترب منها.

كان زائراً مواظباً «للدروب الساطعة». في أثناء زياراته كانت دائماً تفكر به اكثر من استطاعتها على الاعتراف، هنالك نوع من القدر في إحساسها لجايمس، العينان الداكنتان راقبتاها، وكان يسيطر عليها وكأنه وجدها عند نهاية خط غير منظور وينتظر ليسحبها. الآن فهمت لماذا، وفهمت أيضاً خوفها الدفين منه، انه يريدها وهي تعترف بذلك، وهي تريده أيضاً ولكنها بلا خبرة وتماسك لكي تدرك أو تعترف بذلك، الآن بدا المسؤول فجاة صديقاً. إنها ايضاً فخورة بنفسها، بشيء لم يحصل سابقاً في حياتها. انها مساعدته الشخصية والعمل يوكل اليها اكثر فاكثر.

الآن بدأت تدرك ماهية ما تعلمت منذ وجودها هنا وكيف دربها جايمس بجدية. لقد خطط لها تحركاتها ولأول مرة في حياتها اصبحت شخصية مهمة، لا شك في ذلك. إذ انه ليس من سبيل لأن تصل بسرعة كهذه في أي شركة أخرى.

إنها هنا، جايمس أرادها أن تكون بقربه، ولكنها تقوم بالعمل بجدارة اذهلته. عيناه اللتان تضيقان، تبديان ذلك حين تتصرف بإدراك، تخبرانها بكل شيء. اعطاها هذا شعوراً بالفخر ووجهها توهج، وعيناها تلألأتا. لقد انكبت على المخططات والتفاصيل مما جعل جايمس يشعر بارتياح، كانت تظهر الرغبة فقط بالمناسبات العابرة حين تلتقي عيونهما، ولكن جايمس يطرد ذلك من باله في الحال مستديراً أو قاطعاً الصمت بملاحظات عابرة. كان مديراً قديراً، عليها الاعتراف بذلك.

لم يتصل سايمون بها ثانية، من الواضح انه قرر انها مخادعة، وهذا ما تركها تشعر بالذنب. وفرحت عندما علمت بانه رحل إلى اوستراليا. روما لم تاتِ إلى المكتب أيضاً. ولكن جيما تشك في أن يكون جايمس يوم الجمعة خارج المكتب وترك لها أوامر عديدة تستطيع انجازها الآن. ما لا يمكنها السيطرة عليه هو الشعور بالإحباط لأنها لن تراه لبقية اليوم وحتى يوم الاثنين.

«سأذهب لألقي نظرة على مشروع توسيع الخط السريع للسيارات.» اخبرها بذلك وتابع: «إن كان هناك تاخير سنفسخ العقد معهم. يلزمهم دائماً الضرب على الذراع.» طبعاً سيتلقون واحدة إن ذهب جايمس شخصياً. وقفت للحظة ثم نظرت بانزعاج بعيداً. كانت تحدق به بتمعن، لكي تبقيه في رأسها إلى أن تراه ثانية.

انهى قائلاً بعد ما نظر إليها لدقائق: «إن حدث أي شيء، دعيني اعلم، من يدري؟» تمتم بسخرية: «نحن نعيش اوقاتاً ممتعة، برغم كل شيء.» استدار ليذهب وعادت جيما إلى

مراقبتها الخاصة، يبدو أنه يترك شعره يطول هذه الأيام. هذا مضحك، مهما تأخر في العمل لا يبدو متعباً، إنه لا يقهر. هكذا ظنت. كيف ستجري الأمور إن تزوجت منه، لتستقبله في المنزل، للتحدث عن الأمور أمام المدفأة؟

استدار بسرعة لينظر إليها، فلمعت عيناه الداكنتان حين أدرك التعبير البادي على وجهها: «إن لم تنتبهي، ستحبينني.» أنذرها برقة وتابع: «إضافة إلى الرغبة، ستكون مشكلة.» حدقت به والاحمرار يغمر وجهها فأضاف بسرعة: «لا تنسي من هو المسؤول عندما اكون خارجاً.» حدقت جيما بالباب المغلق، ايعني انها هي المسؤولة عندما يكون خارجاً؟ هل يثق بها إلى هذا الحد؟ صحيح انها تتصرف بكل الاتصالات وتنظم اعماله باطراد، وانه يترك العمل اكثر فاكثر لها، لكنها لم تكن تعمل أي شيء من دون الرجوع إلى جايمس. أما الآن فإن الناس باتوا يطلبون رأيها، قبل أن تصبح مع جايمس، لم يسألها احد رأيها في حياتها. جيسي تدير المنزل ووالدها يدير كل شيء آخر. بالطبع حضرت حفلات العشاء وتأكدت بأن كل شيء يتم بدقة، ولكن هذا كانت تفعله دائماً. لو اعلنت الحقيقة، كان الأفضل لها أن تأخذ وظيفة مدبرة منزل بدل القدوم إلى هنا. ولكن جايمس علمها وتعلمت بسرعة، لم يكن فقط من أجل تصميمها لتأخذ الأفضل منه، ولكن الأكثر من ذلك، كان التنويه هو ما أرادته اكثر من الإعجاب. لربما كان الحب، بالإضافة إلى الرغبة. إنها حقاً مشكلة. مشكلة ارادت الاحتفاظ بها حتى لا يشك جايمس ابداً. الفكرة ضايقتها،

ربما لن تسير الأمور كما تريد، وجايمس يسيطر بقوة على رغباته، إلى جانب أنها تشعر بالكدر عندما لا يكون موجوداً.

يوم الاثنين كانت جيما باهتة ومنهكة، تشعر بألم بسيط ابقاها في حال من عدم الراحة كل الوقت، كان يأتي ويختفي منذ وفاة والدها، وفسرت ذلك بكون اعصابها منهكة، اما الآن فقد بدأت تعتقد بأن هذا لا علاقة له بتفكيرها على الإطلاق. ربما السقطة في البناء؟ مهما يكن فهي متعبة ولكنها منكبة على عملها. جايمس لم يكن هناك ولم تصلها أي رسائل. لم يطل الأمر حتى رن جرس الهاتف وابتدأت الاتصالات بكثافة وسرعة وبدأت جيما تستجمع قواها المنهارة.

دخل عند العاشرة، وقد عرفت ذلك من خلال دخوله على الخط معها هاتفياً واخذ المكالمة بدلاً منها مما ازعجها ذلك، وقد ادركت تماماً السبب. لأنها تمنت أن يتصل بها أولاً، شعرت بأنها خرجت من حياته، عُزلت، وهذا سخيف.

حين اقتحم مكتبها كانت تجلس منكمشة وباهتة تماماً كما بدأت الأمور بينهما، وكل ذلك بسبب الغيرة. ارادت أن تسأله أين كان؟، لماذا تأخر؟ ولكنها اختبأت خلف برودتها.

«سآخذك للغداء.» قدم لها عرضه حينما رفعت نظرها إليه بسرعة أجابته: «لست جائعة، شكراً.»

«ما بكِ؟» تحرك من مكانه نحو الباب عابراً الغرفة بسرعة إلى مكتبها ناظراً إليها بتمعن.

«لا شيء البتة، كنت منشغلة طوال فترة الصباح. لم يهدأ جرس الهاتف و...»

«وأنت محبطة لأنك تركتِ وحدك في النهاية، لديّ اعمال أقوم بها.»

«أنا أعرف أنك المسؤول وليس عليك أن تشرح لأحد.» تداركت بصوت منخفض، بعد انتظار عودته طويلاً، تريده الآن أن يرحل لأنها شعرت بالألم أكثر.

تمتم بمتعة: «إذاً أنتِ غاضبة؟ تعالي للغداء كفتاه طيبة وسترضين.»

«إنك تعاملني كمغفلة.» علقت جيما بحدة وغضب ونظرته المحدقة تتوهج بالمتعة. وقال لها: «ماذا غير ذلك تتوقعين أن تكوني، يا حبيبتي؟» لهجة السخرية اسكتتها، إذ لم يدعها بكلمة حبيبتي من قبل، تريد أن يدعوها بكلام جميل دائماً، وكل ما عناه هو السخرية الخفيفة، فاعترتها قشعريرة وهو ادرك ذلك.

«هل أنتِ بخير؟ أنتِ باهتة. اخبريني ما الخطب؟» حركت رأسها قائلة: «لا شيء إطلاقاً.»

«جيما.» الصوت الملحاح المنبه دعاها لأن ترفع نظرها نحوه وامتدت يده لتجذب وجهها نحوه. «سآخذك ليراك الطبيب في اسفل المبنى، إنه هنا هذا الصباح.»

«انتظر، أرجوك دعني وشاني، اعلم كيف أشعر، ولن أذهب، لا يمكنك أن تعاملني كغبية حيناً، وحيناً....»

انهى بخشونة: «أريد أن اهتم بك.»

«لماذا؟» كان دورها في أن تسأل، طريقة تعلمتها منه. فتجهم وجهه وهو ينظر إلى وجهها الشاحب وقال: «لأنه...

تباً، إنتبهي لنفسك! لم ينقض يوم الرفقة للغداء على أية حال.» ذكرها بواقعها وخرج من الغرفة، ولم تعد لتراه طوال ذلك اليوم.

أحست وكأنه يتجنبها، وبحلول يوم الجمعة تأكدت من ذلك، خلال إحدى المكالمات التي اجابت عليها كانت من روما. إذاً الأمر لم ينته بعد، بدا الأمر دماراً مزعجاً وفجاة اتضح أن لا شيء يستحق الانتظار بعد الآن.

عندما دخل جايمس عند نهاية ذلك اليوم، وقف ونظر إليها بتمعن، اغلق الباب وتوجه نحو مكتبها. قال بتساؤل: «ماذا هناك؟ لا تضعيني خارج الموضوع الآن يا جيما. لم أرك منذ يومين وتبدين شاحبة.»

«بالتاكيد لا تظن أنه بسبب اشتياقي إليك.» تمتمت باستخفاف وتابعت: «ليس عندي مثل هذه الأوهام.» قال قاطعاً: «أنا مدرك أنه خلال الأحداث الطبيعية لن تنظري ناحيتي، أنا اكترث لحمايتك. ماذا تتوقعين؟» قساوته زادتها شحوباً، فقال لها: «تبدين بيضاء كغطاء طاولة، سآخذك إلى المنزل.»

«لا، أنا بألف خير» كانت متوترة فوجدت نفسها تصرخ بوجهه فتبدلت تعابيره من الاهتمام للإنزعاج قال بجفاء: «حسناً لا أريد أن اناقش هذا، ولكن شيئاً واحداً أصر عليه، بما أني المدير. تغادرين الآن. في هذه اللحظة.» وقفت وبدأت تجمع اغراضها. لكنه لم يتحرك، عيناه تسمرتا على وجهها الأبيض بتمعن، فأغمي عليها من الألم. وبخطوتين كان امامها. «إنسي الأمر.» ستذهبين بسيارتي، وان رفضت، ساحملك للمصعد، ثم إلى

الموقف. تمنعي وجادلي بعد أن نعبر كل هذا، يا آنسة... ليل.»

«سيارتي...»

«اللعنة على سيارتك، لقد حذرتك» بما أنها تعلم أنه قادر على حملها، لم تمانع جيما. حين فتح باب السيارة لها ارتاحت لأنها كانت تعلم أنها لن تستطع أن تذهب بمفردها.

تزايد الألم في الطريق إلى المنزل، كانت صامتة، تقاوم امواج الألم التي تجتاحها، قساوته تزداد مع كل نوبة. جايمس لم يقل أي شيء ولكنه زاد من سرعة السيارة.

حين دخلا القاعة في «الدروب الساطعة» استدعى جيسي وامر بأن تؤخذ جيما إلى الفراش. كانت مسرورة لأنها تذهب إلى غرفتها، لمرة واحدة مستعدة لتجاهل سيطرته، كيف يمكنها أن تشعر بذلك؟ لا تدري، جاهدت لكي تبدل ملابسها، ثم جلست إلى طرف الفراش لتتمكن من ذلك، حينها دخلت جيسي لتساعدها. وأعلنت وهي تنظر إلى جيما بقلق: «الطبيب قادم. لست ادري كيف وصلت إلى هذا الحد، ظننت انك بخير وسعيدة تحت رعاية السيد ساندرسون.» تجاهلت جيما الاطراء المقصود لجايمس.

«طبيب؟ لست في حاجة إلى طبيب، ليس عليك أن تتصلي به، يا جيسي. سيظن بأني غبية تماماً، نأتي به إلى المنزل من أجل مغص معوي بسيط.» اخبرتها جيسي بفخر: «السيد ساندرسون اتصل به. أرى أن من المستحسن أن يراك الطبيب، حتى وإن كان مغصاً معوياً ربما كان تسمماً، إذ تبدين مريضة جداً.» ارادت جيما أن تشير إلى انها لم تتناول الغداء، وأن آخر وجبة تناولتها كانت هذا الصباح، هنا، ولو

تسممت فجيسي هي الملامة، ولكنها لم تستطع أن تبدي أية ملاحظة لأنها اندفعت نحو الحمام تريد أن تتقيأ، وبعدها كانت في غاية التعب ولا تستطيع الكلام.

قال الطبيب بعد فحصها: «سأنقلك إلى المستشفى، إنها الزائدة الدودية، يا عزيزتي.» كان طبيب العائلة منذ أن كانت طفلة وتعرفه جيداً. لم تعهده رجلاً كثير الكلام. جيسي اكثرت من الكلام وتمتمت حتى دخل جايمس فتماسكت فقال قاطعاً: «في استطاعتي أن انقلها إلى المستشفى قبل أن تصل سيارة الإسعاف إلى هنا.» ورمقه الطبيب بطرف عينه بمكر: «الخطيب المتحمس.» تمتم قائلاً دون أن يتعرف على جايمس ومن دون أن يعرف الأوضاع. «لا داعي للعجلة، برغم أني اريدها هناك بالسرعة الممكنة. إنها امرأة يا عزيزي الشاب. ستحتاج إلى وقت لتجمع نصف طن من متاعها لتأخذها معها.» وجدت جيما نفسها تحدق به ووجهها الأبيض مرتاح قليلاً حين رأت ان جايمس يفعل نفس الأشياء. لم يتعود بأن يخاطب وكأنه صبي. عيونهما التقت ببعضها وعبس بها مما أثار خفقان قلبها. لم يعبس بوجهها من قبل، كانت نظرة سريعة مرت بينهما وللحظة كانا على نفس المسار.

امر قائلاً: «حملي شاحنتها، يا جيسي سآخذها.» أضاف مخاطباً الطبيب الذي نظر إليه نظرة المتضايق، مما ازعج جيما، فهذا الطبيب بالذات عنيد ايضاً: «لا مناقشات؟» تمتم جايمس حين خرج الطبيب لإخطار المستشفى. فقالت جيما: «لا، أنا لا احبه. اكون مسرورة حين يوضع في مكانه الصحيح.»

«إذن، نحن متفاهمان تماماً.» اكد لها جايمس:

«أنا ارفض أن يطلق عليّ لقب الخطيب الولهان.»

«آسفة لذلك. هذا فقط لأنه لا يعرفك.»

«لا تأسفي كثيراً، أنا اعترضت على الولهان فقط. توقعت أن يناديني بـ (الشاب)، كان الأمر اسوأ.» ثم وضع عليها رداءها وقال: «لنتحرك الآن.»

«شكراً... شكراً لك...»

«مديرك في كل شيء. سابقى كذلك، إنها لخبرة جيدة.»

«جايمس، لا يمكنني الزواج منك.» تمتمت باكية، وهي مجبرة على الاتكاء عليه نظراً لموجة ألم اعترتها. فحملها بين ذراعيه بتأنٍ مبقياً صوته منخفضاً: «إن لم تفعلي، ستنتهي بالسكن معي، وكلانا يعرف ذلك، يا جيما. ذاك الجدار الجليدي قد انكسر، لقد تذوقت أول طعم للحرية، وقد نفعك، أنت الآن امرأة فعلاً.»

«هل حقاً أنا؟» كان عليها أن تريح رأسها على كتفه بينما كان يحملها على السلالم إلى الأسفل. رد معلقاً: «أنت امرأة رائعة سأشرح لك ذلك بعد الميلاد. أما زلت تشعرين بدوار؟»

نظرت الممرضة إلى جيما وابتسمت بطريقة محترف المهنة: «سوف يزول هذا الدوار، هذه العمليات الصغيرة هي بسيطة جداً في وقتنا الحاضر، لا ألم على الإطلاق.» ارادت جيما ان تسألها ما إذا كانت زائدتها الدودية قد أزيلت حديثاً، ولكنها عفت عن ذلك، فالممرضة بدت لطيفة، فبادلتها ابتسامة: «هذا افضل، فأنا لا احب الشفقة في قسمي. آنسة ليل المخدر يأخذ وقتاً اطول مع بعض الناس.

كان الوقت متأخراً جداً ليل امس حين اجريت لك الجراحة، اظن بأنك ستطلبين العودة إلى المنزل.» ادارت جيما رأسها على الوسادة ووجهها يتماوج من الألم. اخبروها بأنها لن تتألم لدقيقة مرت، ولو تأخر الوقت لكانت جراحتها دقيقة للغاية، والوضع هكذا لا يسعها ان تخرج قبل اسبوع، ثم ماذا؟ اسبوعان ويحل يوم الميلاد.

ستبقى في عطلة لعدة اسابيع وخلال ذلك سيكون يوم الميلاد قد حل وفات، لا تدري كيف سيحل من دون والدها. كانا سيفعلان شيئاً حيال ذلك، برغم أن الأعياد كانت تجلب الحزن أيضاً، إذ أن طيف والدتها يكون هناك، فيغرق والدها في صمته، والأجواء السوداء تخيم عليهما.

كانا يملآن البيت بالأصدقاء ويعيشان الأجواء، لسنتين مضتا، كان جايمس يأتي إلى منزلهما. تحركت جيما منزعجة في فراشها حين تذكرت كيف كانت تتجاهله، وبأية برودة كانت تستلم هداياه، وكيف عن قصد لم تقدم له يوماً واحدة.

بماذا كانت تفكر؟ لم يكن يوماً من دون صحبة. علمت ذلك قبلاً، وتعلم الآن بالحفلات التي يحضرها مع النساء الحالمات، انّ تجاريه شيء، وأن تصده شيء آخر، ترى ماذا يفعل الآن؟ إنه يوم السبت، المكتب مقفل. ذهب تفكيرها إلى شقته، متخيلة أنه هناك، ولكنها قطعت حبل افكارها حين مر طيف روما بريسكوت في بالها. سحابة من الألم ممزوجة بالغضب اجتاحتها، أقوى من الجراحة.

كانت تشعر بالغيرة. لا يمكنها حتى التفكير في ذلك، وبمن قد يكون هناك.

كانت تحاول النوم بعد الغداء حين دخل جايمس، لم يكن وقت زيارة ولكن لا شك في أن ما من أحد يستطيع أن يثنيه عن عمل يريده. إنه جناح من الطابق فيه ثلاثة اسرة وفي الوقت الحاضر ما من مريض سواها. مع ذلك، وقف ينظر إلى ما حوله بانزعاج ثم توجه نحوها ونظر إليها بتمعن: «كيف تشعرين؟»

«بخير! كما قالت الممرضة، ما من ألم.» تماوجت شفتاه بمتعة وجلس على السرير إلى جانبها وقال: «قالوا لي اسبوع وبعده فترة نقاهة.»

«انت اقترحت، طبعاً؟» ثم نظرت إليه باستسلام وهي تشعر بقلة الحيلة، فصمت ونظر إليها بحيرة: «الآن من سيهتم بك إن لم أفعل؟ لو ترك الأمر لك لانتهي الأمر بعملية طارئة.» جعلها هذا تشعر بالذنب، وقبل أن تتفوه بأي عبارة شكر أو اعتذار غيّر الموضوع.

«كيف ستقضين يوم الميلاد؟» كان هذا الموضوع يسيطر على تفكيرها قبل وصوله، نظرت إليه بقليل من الانزعاج «مرتاحة، افترض جيسي وأنا كنا سنحتفل، أما الآن يبدو الأمر صعباً نوعاً ما. أتصور باننا سنشعل ناراً في الموقد ونتعشى.»

«اقضي يوم الميلاد معي، يا جيما.» ونظرت جيما إليه بسرعة، وفوجئت: «لا أظن بانني استطيع أن احضر أي حفلة... لا أستطيع ترك جيسي، وعلى أية حال...»

«يمكنك التفكير بأمور افضل من أن تري وجهي.» اكمل عنها.

«لا، ليس هذا ما كنت أنوي قوله، ولكنك فاجأتني.»

«حقاً، أنا فعلت؟» نهض وبدأ يدور في المكان وفجأة قال دون صبر: «رباه! السنتان الماضيتان كانتا جيدتين، بالنسبة إلى حضوري إلى «الدروب الساطعة». تمتمت جيما: «كان ذلك بؤساً لنا.» لم تدرك تماماً ما تقول: «كنا نفتقد والدتي. بينما أنت بالتأكيد تقضي الميلاد في كل حفلة تقام!» تمتم قائلاً: «هكذا انا افعل منتظراً الزمن حتى أزور «الدروب الساطعة» بلياقة ثانية دون أن أقحم نفسي بوضوح إلى المكان.»

«لم اكن اعلم بأنك تحب «الدروب الساطعة» إلى هذا الحد.» قالتها جيما واضافت معلقة: «لا شك بأنك سعيد لشرائك له.»

«اردت أن أراكِ.» واستدار ثانية نحوها بنظرة متوحشة تحولت إلى ممتعة حين رآها تنظر إليه بعينين متسائلتين: «أنا أناني نحوك يا جيما، ألا تعلمين؟» شحوب وجهها تحول إلى لون لطيف. «أنا متأكدة من أن الآنسة بريسكوت تتمنى لو...»

«آه، توقفي.» تقدم وجلس على السرير ثانية، ممسكاً بيدها. «رغبتكِ فيك لحظة رأيتكِ، ولم يمض وقت حتى تحول الحلم إلى ملاصقة وامتلاك، التصرف كمراهق لا يناسبني.»

اجابت بتنهيدة: «جايمس...»

«لا تقولي شيئاً قبل أن تفكري بذلك يا جيما. لم اطلب منك أن تمضي الميلاد في شقتي. قبل أن تدخلي حياتي، كنت أسافر إلى جزيرة بيرمودا لأهرب من كل شيء. خالتي تملك [illegible]ة هناك. سوف تعجبك، إنها أخت والدتي، لا تستطيع

العيش في لندن بسبب الطقس البارد، تعالي معي وارتاحي هناك. في استطاعة جيسي أن تأتي أيضاً.»

«أنا... أنا لا استطيع. ماذا سيظن الناس بي؟»

«أي ناس تتكلمين عنهم؟ اصدقاؤك؟» تمتمت جيما بحنق: «يبدو أنهم تلاشوا. وبرغم ذلك...» همس قائلاً: «جيما!» وكانت يداه تضغطان على يديها، وفجأة ادركت أنها ستوافق حيث أنها ستراه مراراً، وروما بريسكوت لن تكون هناك على أية حال. سأسأل جيسي.»

«ستكونين بخير هناك كما هنا.» أشار ببسمة وكتفاه مرتاحتان. «سأدعها توافق حالاً.» قالت جيما بهدوء محاولة إبقاء ابتسامة خفيفة عن ملامحها: «سنرى أمر ذلك.» فنظر إلى داخل عينيها وقبل يدها: «ما المشكلة؟ عندما نتزوج ستهتم بنا نحن الاثنين.» وقف واتجه نحو الباب وهو يتابع: «سوف أنسق الحجوزات والتذاكر.»

ردت: «لم اقل بعد بأني سأذهب.» لكنه نظر إليها مرة ثانية بمتعة: «ولكنك ألمحتِ بذلك، أنت تضعفين، يمكنك الرضوخ ويمكن النيل منك وأنتِ مريضة وفي الفراش، لا مكان تهربين إليه، إني أتعلم طوال الوقت.»

حضرت الممرضة بينما كان يغادر، فابتسم جايمس لها كعهده، مما دعاها للاحمرار خجلاً فقال لها: «أريد أن تنقلي الآنسة ليل إلى غرفة خاصة. جرت الأمور بسرعة ليل أمس، لكنني اجريت كل المعاملات الخاصة بذلك حين حضرت اليوم.» قالت جيما بصوتٍ عالٍ قدر استطاعتها: «سأبقى هنا.» والنفس الكبير الذي تنفسته أمس . كان عليها أن تتمسك بأسلوب حياتها قبل أن

يسحقها جايمس كلياً: «أرجوك، انقليها بأسرع وقت ممكن.»

«سوف أتصرف بالأمر حالاً يا سيد ساندرسون.» كانا يتكلمان عنها وكأنها غير موجودة، وأحست بأن جايمس يحاول تطويقها بأغلال لا يمكنها الإفلات منها.

تحركت جيما من دون انتباه ناسية العملية الجراحية في خضم انزعاجها، فتدفقت الدموع من عينيها وعضت على شفتها محاولة إخفاء صرخة الألم. العينان الداكنتان توهجتا نحوها فضاقتا ثم استدارتا إلى الممرضة بسلطة حادة: «الآنسة ليل تتألم، أيتها الممرضة. لا أرى سبباً لذلك في الوقت الحاضر.»

«ماذا؟ لا! سأحضر لها شيئاً في الحال.»

«أنتِ طيبة.» بدا كلامه كتهديد مبطن، كنمرٍ ضار، وخرج من دون أن ينظر إلى جيما. ما من داعٍ كي يبقى لأن يرى اوامره تنفذ، لأنها دائماً كانت تنفذ وجيما الآن تواجه وجه الممرضة المتجهم، من الواضح أنها سمعت التهديد أيضاً وربما العقاب بعد ذلك، الحقنة بدل المسكنات.

تساءلت إن كانت ستستسلم لجايمس؟ بدأت تحس بالبؤس المطلق حين لم يكن معها. سألت الممرضة بغموض: «هل السيد ساندرسون خطيبك؟» وافقت جيما بارتباك: «نوعاً ما» بطريقة ما، كان كذلك، إنه ينوي الزواج منها، وقد امرها بذلك.

الفصل السابع

سافرت جيما إلى بيرمودا مع جايمس، قبل ليلة الميلاد بيومين، تحمست جيسي للفكرة في البدء، حين رافق جايمس جيما إلى المنزل، ثم عادت ودون سابق انذار لتعتذر عن ذلك نظراً لخوفها من الطائرات. وأعلنت قرارها بتمضية ليلة الميلاد مع أخيها المتزوج، ومن الطريقة التي تكلمت بها، أدركت جيما أن كل شيء مخطط له لرحلتها إلى بيرمودا. «كنتِ تعلمين أنك ستفعلين ذلك.» سألتها بتأكيد وتلقت جيسي صدمتها المزعجة بوجه سارح: «لم يتح لي الوقت أن أرى أخي، لم أكن لأذهب وأدعك وحدك ثم هناك أمر آخر.» أضافت برقة: «لقد سمعت من السيد ساندرسون أن خالته هستر هي قريبته الوحيدة، إنه الوقت الملائم لتقابليها، بما انك ستكونين من العائلة.»

اعترضت جيما: «لن أكون واحدة من العائلة.»

حين ابتدأت الرحلة تركت جيما الأمور تسير كما هي عليه، نظراته السعيدة دعت جيما إلى الشك في أنه قد خطط لذلك مع جيسي. الآن وهي جالسة إلى جانب جايمس أدركت كيف انه غيّر حياتها، كانت باردة، محبطة، ومتأكدة من كرهها له وخوفها منه. يبدو ان خوفها كان سبب أحاسيسها. لقد تعودت الآن على الانصهار في حياته، تعلمّ أنه عنيد ووقع اختياره عليها بتصميم مسبق. إنها تعلم كل مغامراته ومتأكدة من أنها لا

تعيش قصة حب، لقد دفعا معاً بجاذبية غير مقصودة وكلاهما يعرف ذلك.

نظرت إليه فإذا به ينظر إليها بسعادة وارتياح، كان كذلك منذ أن ركبا الطائرة، لأسبوع ستكون معه طوال الوقت.

«كيف تشعرين؟» نظر اليها بامتلاك بينما هي منزعجة من نفسها، ربما ستجن. تريد أن تكون لجايمس، تكون ملكه، تكون صديقته، أي شيء.

«بخير، تعلم ذلك، قالوا بأني سأستعيد وضعي الطبيعي بعد أسبوع وها قد مضت ثلاثة أسابيع تقريباً. أستطيع أن أقوم بأي شيء الآن.» قال مازحاً: «أنا سعيد لذلك.» واحمرت وجنتاها بعمق، أبعدت نظرها عن العينين الداكنتين الساخرتين، مدركة ما يعني.

«أخبرني عن خالتك.» أحبت أن تجري مناقشة عادية، لأنه بدأ يوحي لها بأجواء تصرح بالأحاسيس، وبما انه ترك العمل وراءه فلقد صبّ كل اهتمامه عليها، حتى نظراته ترعشها وقوته تغمرها.

«هستر، انها عزيزة، كانت عائلة أمي ثرية. عندما تزوجت من والدي صدموا، كان مستواها الاجتماعي يعلوه كعلو القمر عن الأرض، أتى ليقوم ببعض الأعمال في منزل جدي حيث تقابلا، وبعدها رأته بالسر وتزوجا بالسر أيضاً. لقد أخذها من بينهم ولوقت طويل لم يعلموا أيضاً بأني جئت إلى الوجود.»

«وكيف علموا؟»

عندما تكلم عن أمه بدت المرارة القديمة تغمر صوته، وتمنت لو انها لم تذكر ذلك.

«عندما توفيت والدتي تعذبت كي أجدهم. تلوعت من أجل ذلك، ولمتهم لأشياء كثيرة، وأهمها لأنهم لم ينقذوها، وقتها كان قد بقي من العائلة خال واحد وخالتي هستر، فأخبرتني بكامل القصة. من وقتها وأنا مقرّب جداً منها تعاملني كوالدتي. هستر لها مكانة في قلبي.»

«آمل أن لا أكون متطفلة... أعني لأنك تعودت على قضاء عطلة الميلاد معها.»

«تعودت ذلك إلى أن رأيتك، بدأت أمضي الأسبوع الذي يلي يوم الميلاد معها. أنت لا تتطفلين يا جيما. إنها تنتظرك.» كان هناك شيء مبهم في طريقة كلامه. كان يأتي إلى «الدروب الساطعة» فقط ليراها. ربما لو لم يكن كذلك لما فكر أيضاً في شراء الشركة. كم تبدو الأمور مختلفة الآن.

كانت ستبقى كما هي، خجولة ومعقدة، و«الدروب الساطعة» كان سيسقط في أياد غريبة.

«بمَ أخبرت خالتك؟» نظرت اليه بعينين مترقبتين وتماوجت شفتاه، ثم قال: «قلت لها مهما تكن الظروف سنتزوج.» اعترف ناطقاً بثبات «لم أعدها بأني لن آخذك إلى المخدع في الدارة. انها تقليدية وتستبعد ذلك.»

«أنا كذلك.»

نظرت جيما من خلال النافذة ووجنتاها محمرتان، فأمسك بيدها المرتعشة على ركبتها.

أكد لها برقة: «لا يهم، وأنا أيضاً.»

ثم تابع: «لا أريد اغواءك. أريد ان أتزوج منك، على أية حال، مازلت ضعيفة بعد الجراحة.»

«لست كذلك.» وأدارت رأسها لتنظر اليه: «أنا بصحة ممتازة.» وقتها فقط لمحت الضحك يتراقص في عينيه.

«حسناً، تريدينني... سأفكر بالأمر، ولكن لا تمني النفس بالأماني العريضة.»

بدأ يضحك برقة وهي تنظر اليه بغضب. فرفع يدها وقبلها بطريقة لطيفة لم تعهدها من قبل.

قال بهدوء: «استرخي، أنا أمازحك.» عندما استرخت في مقعدها محاولة اطاعته كان قلبها يخفق بشدة، أمسك يدها برقة وكان صوته دافئاً ومنخفضاً عندما تكلم ثانية.

«لا أدري حقاً ما بي!»

اعترف بقلق: «أنا أستلطفك يا جيما ليل، لو لم أكن أريدك إلى هذا الحد لكنت أفضل صديقة لي.»

لم يكن ليقول أي شيء آخر يمتعها بهذا القدر، لقد أعطاها هذا دفعاً معنوياً، سبباً للحياة ومتعة داخلية لم تألفها. إنها تحبه ولا مجال للإنكار. لقد أصبح محور حياتها.

الدفء الرائع غمرها عندما هبطا من الطائرة ورفعت جيما رأسها نحو الشمس وكأنها قطة، تستمتع بدفئها. كانت الخالة هستر، قد أعدت لجايمس سيارة، وتركتها في باحة المطار، ليأتي بها إلى الدارة. وها هما في طريقهما إلى الدارة. السيارة كانت مكشوفة السطح مما جعل الهواء الناعم يداعب شعرها.

بعد قليل، توجه جايمس نحو طريق فرعي بين الصخور يطل على البحر. المكان جميل يحبس الأنفاس لروعته. سألت جيما: «هل في إمكانك رؤية البحر من دارة خالتك؟»

استدارت اليه بشوق بينما هو يراقب وجهها السعيد. بقي

ساكتاً وتابع النظر إليها من دون أن يجيبها. بدت أسئلتها تجبره على البوح بما في رأسه.

«أريدك ان تفعلي شيئاً من أجلي، يا جيما. أضع الأمر بين يديك. وأتوقع منك الرفض.»

«ما هو؟»

في هذه اللحظة أحست بأنها قريبة منه ومدهوشة من تردده.

فقال لها: «هستر وأنا، الإثنان الوحيدان الباقيان من العائلة. ليس لنا أحد سوانا، وأنا أهتم لأمرها. صحتها ليست على ما يرام، لهذا تسكن هنا. وهي تهتم لأمري أيضاً، وليست غبية اطلاقاً. يمكنها استطلاع الأمور بذكاء. تريدني أن أستقر في حياتي. لذلك، وفي أثناء وجودنا هنا، أريد... أحب...» تردد وأظهر وجهاً قلقاً.

ثم اضاف: ««من الأفضل أن أقول ما عندي. أريد أن أسعدها، إلبسي خاتم خطبتي فيما أنت هنا، يا جيما. دعيها تعتقد بأننا مخطوبان ونستعد للزواج.»

نظرت إليه لدقيقة فقط وقد فوجئت لتردده وتخاذله غير المتوقع، ليس جايمس من يتوسل.

«أليس... أليس هذا خداعاً، أليس كذلك؟ إن كنت تهتم لأمرها، كيف تدفعها لتصديق شيء ليس صحيحاً؟»

بدأت المعارضة دون أن تعرف ما تقوله ووجهه تجهم واشتعلت عيناه بالغضب المعهود.

«حسب معلوماتي ستكون هذه آخر ليلة ميلاد لها. من يدري ما هو مكتوب لها؟ سأتزوج منك على أي حال. هذا فقط استباق للأمور، إن كنت غير مستعدة لتقديم خدمات. أنظري

إلى الأمر هكذا، امهلتك حتى عطلة الميلاد لتتعلمي العمل في الشركة، وكنت صادقاً، كنت في المستشفى، لذلك انا مستعد لأن أمدد الفترة حتى الربيع. كل ما أريده في المقابل هو تمثيلية غير ضارة، اريد خطيبة تتمشى امام هستر.»

اعترضت جيما: «جايمس، إنك تتكلم وكأني وافقت على الزواج منك. قلت تقييماً بعد عطلة الميلاد، ولم أعلم وقتها ما تعني.كان اتفاقاً وليس نتيجة محسوبة.»

أصر بجفاء: «هذا شيء سنناقشه عندما نعود إلى لندن. كل ما أريده هو خدمة صغيرة، ماذا قلت يا جيما؟ هل أنت خائفة؟»

«لست خائفة، أنا فقط لا أحب الكذب، لأي سبب كان، وأنت... أنت ترعبني.»

«لأنك لا تثقين بي.»

قالت بصراحة: «أرجوك، توقف عن ذلك.» وضعت يديها على وجهها ونظرت إليه بذعر.

«لست أدري ما أفعل، كالعادة تدعوني للضياع. إن رفضت واي شيء حصل لخالتك سأشعر بالذنب. وإن تعافت سأوسم بعار الكذب، لا عجب في أن الناس يخافونك يا جايمس سأندرسون.»

«هل أنت كذلك؟»

نظرت إليه فتلاقت عيونهما.

«لا، لست كذلك، ولن أكون.» هذا صحيح في داخلها. إنها تخاف من نفسها ومن احاسيسها.

قال متذكراً: «قلت انك تكرهينني، يا جيما. هل هذا حقاً ما تشعرين به؟»

أرادت أن تقول نعم، أرادت أن تصرخ بذلك في وجهه، ولكنها لم تجد الشجاعة. لم تكرهه، إنه يؤثر فيها بعمق، يجعلها ترتجف، يملؤها بالملامة دون أن تعلم.

«أنا لا أكرهك. كيف لي أن أكرهك، وأنت كنت طيباً معي؟»

عيناه الداكنتان كانتا تبتسمان، حين قال: «هل حقاً أنا هكذا؟ طيب، هل تكذبين من أجلي؟»

صمتت للحظة ثم قالت: «وهل لدي خيار آخر؟ فلننه هذا النقاش العقيم قبل ان ينفد صبري واجعلك تندم على ذلك.»

«تهديدات؟ ها قد بدأنا. أين فتاة الثلج وخادمة... القمر؟»

«لقد اسقطتها من حساباتي.»

تلاقت عيونهما مما دفع قلبها للخفقان بسرعة.

«ربما لأنك الآن حرّة، يا جيما. لأول مرة في حياتك، تستطيعين قول ما تشعرين به دون شعور بالذنب.»

«أستطيع الخروج من «الدروب الساطعة» والاتكال على نفسي من دونك.»

أشارت بحدّة مستمتعة بتساويهما ثم تابعت.

«في استطاعتي أيضاً أن أجد عملاً أفضل الآن، كوني مساعدة شخصية.»

قال مقاطعاً: «أرجوك لا تفعلي ذلك. أنا متأكد من أن الأمور لم تعد كما كانت، ولن تكون كذلك من دونك الآن...»

ابتسما لبعضهما البعض ثم أخرج الخاتم، حبة كبيرة من حجر الياقوت الأصفر محاطة بالماس. وكانت جيما تراقب مشدوهة بينما هو يدخله في إصبعها.

بدا طبيعياً... وكأنهما مخطوبان فعلاً.

جهدت لتخفي دموعها، للحظات مضت كانت تضحك ولكن الآن، دفعها الخاتم إلى حافة النحيب.

كل ذلك من أجل راحة سيدة عجوز، لم تعلم جيما ما إذا كانت داهية أم أنها أداة لإحدى ألاعيب جايمس.

لا شك من أنها ستتمكن من الإحتفاظ بالخاتم إن وافقت على الزواج من جايمس ولكنها لن تحصل على جايمس، لأنها أوضحت له ذلك من البداية.

أمسكها من وجهها ورأى الوميض اللامع في عينيها.

«الدموع؟ إنها لحظة تأثر وانفعال.»

«لست مخطوبة، هذا فقط لخداع خالتك، ليس حقيقة.»

«يمكنك جعل الأمر حقيقة يا جيما، في أي وقت ترغبين سنجعله حقيقة.»

«لا أريد ذلك.» فتقدم ليمسح دموعها وغمرها بين ذراعيه: «لن تفلتي مني، يا جيما، أنت في قلبي، في مجرى دمي. أريدك، وسأتزوج منك.»

غابا في بحر من العناق والرغبة العارمة.

همس بثقل: «يا جيما، لا أريد أن أستمر هكذا. أريدك زوجة لي.»

بدأت تبكي وترتجف، كان ذلك ردة فعل لمزيج من الحرمان والخجل. كانت تريده، وحتى أنه لم يبتعد عنها فارتمت بين ذراعيه وضمها إلى صدره بحنان.

«أعلم بأني أجرحك ثانية، تزوجي مني يا جيما، أنت متأكدة أن ما بيننا لا يقاوم.»

مسح دموعها ثم تابع: «إن تركتني سأبحث عنك. تعلمين ذلك. أليس كذلك؟ أنت الزوجة التي أريد.»

www.elromancia.com

«ستكون مع صديقتك في كل الأوقات.» قاطعته متغاضية عن نظرته المحرقة وخجلها يدافع عنها. فقال لها وهو يبتسم:

«الغيرة؟» مما دعاها للنظر إليه حيث رأت نوراً مبطناً في عينيه.

قالت بمرارة: «ممن أغار؟ لأن أغار يجب أن أحبك، وأنا لا أريد ذلك.»

تجمد وجهه ببرودة وأدار محرك السيارة ثانية. ثم قال: «إننا متساويان الآن. أنت تلبسين خاتمي كجميل، وأنا أمدد فترة تجربتك كجميل آخر.»

كانت تتألم في داخلها، حين قالت: «ماذا سيحدث حين ينتهي الوقت وما زلت أرفض الزواج منك؟ يخيّل إلي أنني حافظت على جانب من الإتفاق، فقد تعلمت العمل وبسرعة، بحلول الربيع ساكون مستقلة.»

أكد لها ببرودة: «لو نظرت إلى ما حولي، ساجد عروساً مناسبة، مهذبة وجميلة.»

«إذن، لم كل هذا؟»

أحست جيما بنفحة مخيفة في كلماته. أرادت ان تنجو ولكنها الآن تنظر إلى رجل بارد وقاس يستطيع أن يتدبر أمره من دون أي كان.

قال بوضوح وعيناه على الطريق المنعطف: «أنا أريدك. رأيتك فصممت وخططت، هذا ما أنا عليه.»

«غنيمة، تريد أن تضيفها إلى ممتلكاتك.» تداركت جيما بغضب ويداها تمسحان الدموع عن وجهها.

«ربما كدت أن أقتنص الفرصة لدقائق خلت.» دعاها ذلك

للصمت وامضت دقائق تنظر إلى مرآتها لتمسح بقايا الدمع عن وجهها. يفترض بها أن تكون خطيبة سعيدة تجلس إلى جانب خطيبها.

أملت في أن لا تكون الخالة هستر سريعة البديهة، لأنها تحس في هذه اللحظة بأنها غير قادرة على خداع طفل. جيما كانت تعلم أن هنالك حوالي مئة وخمسين جزيرة وخليجاً لبيرمودا، والخالة هستر تملك دارة بين الأشجار على الشاطىء الفضي. بدأت ترى الأسطح البيضاء والجدران الزهرية لعديد من الدور حين تقدما من الطريق السريعة، وأشار جايمس إلى الدارة الخاصة بقريبته الوحيدة. مترامية ولكنها ليست معزولة وجنائنها الخضراء تمتد نحو الشاطىء.

توقف عن الكلام معها، المناقشة الحادة التي جرت بينهما دعتهما إلى الضياع. الشجاعة التي اكتسبتها جيما بدأت بالإضمحلال حين أصبح خطراً، صامتاً وقاتم الملامح. كانت تخشى الوصول لأنها حتماً ستبدو غريبة الأطوار.

على الطريق المؤدية إلى الدارة، اوقف جايمس السيارة ونظر إليها بثبات فتجنبت نظرته بسرعة، إن كان ينوي البدء من جديد فعليها أن تصرخ وستقابل خالته وهي في حالة هستيرية.

«ربما عقدنا هدنة.»

كان صوته هادئاً ولكن بسلطة لم تفهمها، وابقت وجهها نحو الجهة الثانية. وهي تجيب:

«لم أكن أدري أنها معركة.»

قال بخبث: «ستبقى المعارك قائمة إلى أن نتزوج. بما أن ذلك غير ممكن الآن، علينا أن نصل إلى حل متمدن. لن أصرخ بك إن بدوت كخطيبة وديعة.»

الأسلوب المتسلط أثار انتباهها واستدارت وعيناها متسعتان «تصرخ بي؟ فقط حاول أن تفعل وسأكون على أول طائرة مغادرة.»

ثم اردفت: «دعني أحدد شيئاً يا سيد ساندرسون، أستطيع أن أتدبر أموري جيداً من دونك.»

انزعاجها أظهر بسمة على الشفتين الغليظتين.

«بعد دقائق ستقابلين خالتي. لا تهديدات ولا معارضات، أرجوك، احترمي نفسك.»

قالت جيما بثقل: «لقد نشأت على الأخلاق الحميدة لقد وعدت بأن أمثل هذا الدور قبل وصولنا. وسأحافظ على وعدي... فقط في العلن؟» نظر إليها شزراً وقال: «أنا موافق، ولكن، كيف أفسر انزعاجك الحالي؟»

«في امكانك ان تقول ان السفر اتعبني وطبعاً هنالك العملية.» تمتم بسخرية: «بالطبع التبريرات تأتيك بسهولة. كان عليّ ان اتنبأ بعد امثولة كراينجر. لنذهب، تبدين في حاجة إلى الراحة.» اجابت جيما: «حسناً، هذا سيكسر الجليد بلطف.» واردفت: «لعلك ستقول هذه خطيبتي الضعيفة الشخصية يا خالتي هستر، كنت سأحضر عشيقتي القوية ولكن لديها بعض الجدران تريد ان تناطحها.»

«حقاً بدأت أفكر بأنك تغارين.» فتماوجت شفتاه وعندما نظرت اليه استطاعت ان ترى ابتسامة خلف العينين

الداكنتين. حسناً هذا افضل من الصمت العاصف، ربما استطاع خداع خالته.

قالت بخشونة: «لنذهب لقد تدربت على البسمة، لن تضطر لتذكيري.»

هذه المرة تذمر بوضوح، ومرة أخرى ادارت جيما وجهها وتأملت المنظر البديع. كان عليها ان تنتبه إلى الملاحظة التي اوردتها عن روما بريسكوت، وإلا انتهت ظنون جايمس لأشياء أخرى. ولكنها وجدت ان الغيرة ليس من السهل اخفاؤها.

رؤية خالته كانت صدمة لها. بدت ضعيفة، طويلة، عيناها زرقاوان، وجهها غير ارستقراطي، يداها اللدنتان ذواتا الشرايين الزرقاء البارزة مملوءتان بالخواتم البراقة.

لا شيء ينفر بها اطلاقاً، كانت على حالها تبدو صارمة مثل جايمس، ويبدو بوضوح انها تحبه لدرجة شديدة، إذ انها عانقته وقبّلته لمتعته وسعادته الواضحتين، ثم اتجهت العينان الزرقاوان الى جيما قالت بصوت فرح: ««إذاً هذه هي جيما. هذه هي الفتاة التي ستنقذك من الحفرة السوداء. أنا مسرورة، إذ آن أوان اندمال الجراح.»

«لقد شارفت على الشفاء.» واشار جايمس رافعاً يد جيما ليظهر الخاتم في اصبعها ويده الأخرى امسكت جيما بضغط وتهديد ثم احاطت بها، اما خالته فقبّلت وجنتيها بحرارة. قالت برقة: «إذن وافقت؟ كم أملت ذلك، ولكن جايمس ينال ما يريد. اتوقع انك تعرفين ذلك، وتساءلت هل يكون الأمر كذلك سهلاً مع شخص يهتم لأمره. لا افترض أنه

أجبرك على هذه الخطبة؟» اجابتها جيما بلهجة سعيدة: «لا... كان... كان اتفاقاً طوعياً.»

«ترتبكين حين تحرجين، اليس كذلك يا حبيبتي؟» اشار جايمس بسرعة عندما نظرت خالته وقد فوجئت. فتابع كلامه: «وكذلك كان سفرها متعباً. لنريها غرفتها.» كان هذا افضل ما قاله. لقد احبت جيما السيدة العجوز بسرعة، والشعور بالذنب أتاها كأمواج البحر ولوّن خديها باحمرار الخجل. «بالطبع، يا عزيزي آه، ولكن دعها تتعرف على شينا أولاً.» وابتسمت لسيدة دخلت لتوها وقالت: «جيما، هذه ممرضتي، الآنسة رادكليف، ولكني افترض انها لن تمانع إذا ناديتها شينا. إنها معي هنا منذ خمس سنوات مضت.»

استدارت جيما وابتسامة باهتة عل وجهها. الآنسة رادكليف بدت كعارضة ازياء أكثر منها ممرضة. تناهز الثلاثين من العمر، طويلة ورشيقة، شعرها أحمر داكن وجهها جميل. فتذكرت جيما أن جايمس يأتي إلى هنا كل سنة، ربما لأكثر من مرة ان صدقت تعابير الترحيب على وجه هذه المرأة. إنه يعرفها، من المستحيل إخفاء المشاعر، وتذكرت كيف ان كل نساء «ساندرسون ـ ليل» كن مغرمات بجايمس، كان له تأثيره على النساء ومجرد النظر إلى عينيها يثبت ذلك. كيف ستتحمل الوضع هنا وكلاهما أمام عينيها؟ تبسمت شينا بوجه جايمس بينما كانت تقف مستندة إلى الباب: «آه، جايمس! تسعدني رؤيتك ثانية.» وأتت مسرعة إليه. أما جيما فاستدارت، ان كان سيقبلها مُرَحِّباً، فهي لا تريد أن ترى ذلك، ولكنه لم يفعل،

بادلها بسمة من بسماته الخاصة بالسيدات الجميلات. ثم قال لها: «شينا، تبدين جميلة أكثر من ذي قبل.» انتظرت جيما لكي تسمع منها رداً على المجاملة ولكنها لم تفعل. تدخلت هستر بسرعة: «انها مسرورة بلقائك يا جايمس. وهذه هي الفتاة التي سيتزوج منها، يا شينا.» أشارت إلى جيما بوثوق: «لقد خطبا، لا أستطيع أن أعبّر لك عن مقدار سروري. أليست جميلة؟»

أجاب جايمس: «وممتعة للتعرف.» ثم أضاف برقة ويده تلف خصر جيما الرشيق: «يمكنك مساعدتي في الاعتناء بها، يا شينا. لقد أجرت عملية استئصال الزائدة الدودية.»

قالت جيما بوضوح: «لقد تعافيت!» لم يعجبها أن تأمرها شينا رادكليف بالخلود إلى الفراش بينما جايمس يأخذ حمام شمس على الشاطىء، والخالة هستر تأخذ قيلولتها، عندها تعلم الممرضة أين ستذهب.

غرفتها تطل على البحر، اصطحبتها هستر إليها بينما جايمس يجلب الحقائب من السيارة. عندما اقتربتا من النافذة استطاعتا أن تريا، شينا ذهبت معه لتساعده، وكاد يضحكان معاً، شيء نادر ما يحصل مع جيما.

«كان عليّ أن أترك السيارة في المطار لجايمس.» قالتها هستر بسرعة وهي تدير وجه جيما عن النافذة. «الزوار لا يسمح لهم باستئجار سيارات، تعلمين، ليس هنا... برغم ان جايمس يستطيع بسهولة...» كانت جيما تعلم أن هذا الحديث هو فقط لترطيب الأجواء لأن شينا كانت تقف قريبة جداً من جايمس.

قالت برقة: «انها غرفة جميلة. شكراً لأنك دعوتني.»

«عزيزتي، أنا حقاً سعيدة، جايمس يعني الكثير لي، لم أرزق بأولاد. أعلم أنه يحبك كثيراً، وهذا واضح من نظرته إليك. أريدك أن تأتي إلى هنا كلما سنحت لك الفرصة.»

لمست يد جيما بحنان واستدارت نحو الباب. «سأدع جايمس يحضر أغراضك. عندما لا يكون موجوداً، سنتكلم سوياً.»

أقلق هذا جيما وندمت على الخديعة، مهما كانت دوافع جايمس، فخالته امرأة محببة وليست قوية، وهذا واضح بمجرد النظر إليها، على الأقل هذا الجزء صحيح، فكرت بصدق. لم تعهد جايمس كاذباً، حتى الآن.

سمعته يدخل بالحقائب، واستعملت المنظر الخلاب عبر النافذة كذريعة لتبقي وجهها نحو الناحية الثانية. أحست بأنها ترتجف داخلياً من غيرتها، وجايمس كان دائماً يرى أبعاد الأمور. تراه الآن كأنها المرة الأولى، وتعلم بأنها لو كانت تراه للمرة الأولى، لكانت وقعت في غرامه حتماً.

سأل بهدوء: «هل من خطب يا جيما؟» ووقف أمام الباب بعدما وضع الحقيبة أرضاً. «تبدين هزيلة، لقد نقص وزنك، ربما عليّ ان أضع أثقالاً في قدميك في حال هبوب الريح.»

لم تقل شيئاً على الاطلاق، في الواقع كانت مستاءة جداً لكي تستدير ولكنه تقدم منها وأدارها إليه ونظر إليها بحنان. «ما رأيك بهستر؟»

«أحببتها للوهلة الأولى، انها غير متوقعة.»

قال بجفاف: «بالنسبة إلى الماضي، إنها شقيقة والدتي.»

اعترضت جيما بحرارة: «توقف عن وضع الكلام في

فمي. لديك ما يشدك دائماً إلى الماضي، مع أنك قوي، هذا ليس طبيعياً، أن تبقى عائشاً في الماضي.»

تمتم وهو يشدها باتجاهه: «ما يشدني هو أنتِ. وهذا طبيعي جداً.» فضمها إلى صدره بهدوء، عندما رفع رأسه كانت ترتجف ونظر إليها بحنان. «جيما.» توقف عن متابعة كلامه، حين سمع صوتاً يقول:

«هل تريدني أن أفض حقائبك يا جايمس؟» كانت شينا رانكليف عند الباب، فتراجعت جيما بسرعة، كم من الصديقات سوف يدخلن عليهما؟ امتعض وجهها لسبب أكثر من الاحراج.

قال جايمس بهدوء: «لا شكراً، يا شينا. سأفعل ذلك بنفسي حين ترتاح جيما، إنها في حاجة إلى الراحة. سأراك على الشرفة بعد دقيقة. ويمكنك أن تطلعيني على كل المستجدات.»

تقوست شفتا الآنسة راد كليف براسة بينما هي تغادر. هنا أيضاً توجد امرأة أخرى لم تستسلم لفكرة زواج موعود. استفسرت جيما بصوت خافت: «كيف تظن أنه في امكاننا التصرف وأصدقاؤك خلف الباب؟ الآنسة راد كليف ستبقى خلفك على بعد خطوة كل الوقت.»

«أذكر أني قلت لك انك صديقتي.» تمتم قائلاً وعيناه على وجهها الغاضب.

«بالتأكيد أنت لا تتوقعين مني أن أتجاهل شينا؟ أعرفها منذ سنوات، أنا من وجدها لخالتي هستر.»

«أصدق هذا! كوني صديقتك، أنا لست من هذا النوع وتعلم هذا، أنا في هذا الوضع لأن بيننا اتفاقاً، هذا كل شيء.»

نظر إليها وقال: «حقاً؟ إذاً، لماذا تبدين بغاية الرقة معي؟»

أضافت ساخرة: «غريزة نسائية.» كانت ثائرة من الغيرة ومتألمة في داخلها: «على كل حال، هذا ليس من الصعوبة، كونك رجل.»

هز كتفيها والنظرة في عينيه زادت من مخاوفها الصغيرة ثم تركها واستدار نحو الباب. وهو يقول:

«سأراك لاحقاً شكراً لإبقاء صوتك منخفضاً. في أي وقت تريدين فيه ان تثوري عليّ يمكننا أن نمشي على الشاطىء.»

وقفت جيما قرب النافذة، تقاوم دموعها بعد ما تركها وخرج، مؤكد لم يذهب ليوضب اغراضه، لأنها رأته يتجه نحو الشاطىء فوراً ويده رفعت لتساعد شينا راد كليف.

سارا بمحاذاة البحر وبعد دقيقة امسكت شينا ذراعه واستطاعت جيما أن تسمعهما يضحكان.

ما الفائدة؟ بمَ تأمل بعد كل شيء؟ إنه لا يحبها ولن يفعل.

هذا ما ستتوقعه كل يوم في حياتها إن استجابت لإلحاحه على الزواج.

خلعت فستانها وتمددت على فراشها، وبعد دقائق غطت في نوم عميق مرهقة من أعصابها أكثر من ارهاقها من الرحلة الطويلة.

الفصل الثامن

كان العشاء مزعجاً لأن شينا انضمت إليهم. وهذا طبيعي فالآنسة راد كليف ممرضة مرافقة كما أعلمت جيما، وسيكون الأمر معيباً إن لم تعامل كاحد أفراد الأسرة. سألت جيما نفسها إن كانت ستحب هذه المرأة، لو لم يكن للأمر علاقة بجايمس؟ واعترفت بأن لا. هنالك شيء فيها مثل روما بريسكوت، ربما يحب النساء هكذا... متبرجات ومدعيات قويات وحيويات. حاولت جيما المستحيل أن تفتح مناقشة، ولكن الأمر كان صعباً، خاصة وانها ترى شينا تبتسم باستمرار لجايمس. لقد تكلم مع شينا كل الوقت تقريباً... بينما تركت هستر لتسلية جيما.

«اخبرني جايمس عن منزلك الجميل «الدروب الساطعة»، إنه جميل أليس كذلك؟» وافقت جيما: «نعم، إنه جميل وهو ليس لي، الآن. اشتراه جايمس عندما توفي والدي.» سألت هستر بلطف: «لا أجد مشكلة، هل هناك فرق؟ اتوقع أن تسكنا هناك بعد الزواج؟» جمد هذا جيما، ولكن قبل أن تكذب أو تقول الحقيقة تدخل جايمس: «نعم، سنسكن هناك ولهذا السبب اشتريت المنزل. أظن أن جيما ستذبل دون «الدروب الساطعة» حياتها تحوم حوله.»

كان في صوته حشرجة قاسية لم تنتبه إليها الخالة، ولا حتى شينا، ولكن جيما ادركتها.

«سآتي إلى لندن لحضور الزفاف مهما كان الطقس.»

قالت هستر مؤكدة: «متى قررتما؟» رد جايمس: «لم تحدد جيما الموعد بعد. لا تقلقي، سنعلمك في الوقت المناسب.» علقت هستر بضحكة متقطعة: «ربما عليك أن تحثها. القلب الخافت لن يربح الفتيات الجيدات، قد ترفض ان تركت الوقت يطول.»

«لن ترفض.» تمتم جايمس وعيناه الداكنتان على وجه جيما المضرج: «لقد احكمت عليها الوثاق، أليس كذلك يا ملاكي؟»

«حسناً، هذه طريقة لذلك.» أجابت جيما محدقة بخاتمها الذي يتوهج في الأضواء. «إلى جانب ذلك، عليّ أن أفكر بالضيق الذي سأسببه إن أنا تركتك... ساندرسون العظيم... ولن استطيع أن اواجه الردود.»

«أنا سعيد بأنك قلت ذلك.» تبسم جايمس وافترضت جيما أن هذه تعني بسمة حب للآخرين، وإضافة إلى ذلك، كانت ترى التهديد خلفها، حين تتخلى عن جايمس لن يكون الأمر سهلاً، إنها تدرك ذلك تماماً. بعد ذلك جلسوا في الشرفة وجايمس كان غارقاً بمحادثة خالته، بدت شينا رادكليف قلقة، وكانت تعابير وجهها تدل على أنها تنتظر الدعوة.

«إنضمي إلينا، يا شينا.» قالتها هستر بلطفها المعهود، وهكذا كان. وتوجهت ببسمة إلى جايمس وتدبرت امرها بأن جلست بقربه. لم يعجب ذلك الخالة، خصوصاً بعدما وصل جايمس إلى مرحلة الخطوبة، فإنها متأكدة أن الزواج سيتم، وبعدها بدت شبه مستمتعة لجيما وعيناها ترمقان وجه شينا الضاحك.

احست جيما أنها تجلس فوق برميل متفجرات، فوقفت

لتدخل إلى الدارة ولكن جايمس امسك بيدها بينما كانت تمر امامه ونظر إليها. «أتذهب في نزهة على الشاطىء؟» اقترح بعذوبة كافية ليرجع خالته إلى حالة الاسترخاء ثانية فأجابته بهدوء: «إن رغبت.» لم تكن تريد، لم ترغب بأن تكون مع جايمس وحدها بتاتاً. ولكن ما يسعها أن تفعل إن كان يلهو بهذا عبر مسمع خالته، التوتر بدأ يتلاشى، إلا من داخل جيما. بقي ممسكاً يدها وكأنها ستهرب. كانت مدركة أن الأخريين ترقبانهما بينما يسيران، ولم تفاجأ حين سمعت صوت هستر يقول: «إنهما متفاهمان، هذا واضح. ولم افكر في أن يحصل هذا لجايمس. أنا سعيدة جداً.» لم تسمع جيما رد شينا.

عندما ابتعدا، سحبت يدها من يده لتحررها، سار بهدوء إلى جانبها، ثم بدأ يلتقط احجاراً صغيرة ويرميها في البحر فتتماوج صفحة الماء الصافية.

تمتم قائلاً: «أراهن على أنه لا يمكنك ذلك.» أجابته: «أنت محق. حاولت حتى احسست بيدي منهكة.»

«اتحاولين ثانية؟» واعطاها حجرة صغيرة رفضت وقالت: «لا، لا، شكراً.» حتى أنها سحبت يدها إلى الخلف. «علينا تمضية الوقت حتى نرجع متماسكين... هستر تتوقع اجواء رومنطيقية لطيفة، طبعاً، هذا إن لم يكن لديك أي شيء آخر نمضي به وقتنا.»

لم يكن لديها أي خيار آخر غير هذه الرياضة. لقد فعلت ذلك سابقاً لسنوات خلت. احجارها تقع كاحجار، ونظرت إلى جايمس بعينين غاضبتين، طفولية منزعجة من مهاراته في كل شيء.

«حركة يد خاطئة» اعلمها برقة وناولها حجراً آخر. «لا بطء في الحركة، حاولي جاهدة. المهم ان تقومي بالحركة الصحيحة ثم استمتعي.»

«هذا سخيف.»

«إذن لِمَ أنتِ منزعجة؟ تقليد الآخرين يؤدي إلى الانهيار.» وسمعت ضحكته وانقضت عليه فوراً، وأجابته: «أنا لا أحاول أن أقلد أحداً ومن أقلد؟»

«أنا.» قالها برقة محركاً يدها هنا وهنالك وادارها نحو البحر: «هذا لا يجدي، تعلمين هذا. لم تصنعي من نفس المعدن القاسي. تحاولين الظهور افضل لتبرهني أنك لا تحتاجين إلي، أنت بحاجة إلي وافضل أن تبقي كما أنتِ مهما تضايقت. لنرجع إلى الواقع، الرجوع هكذا، اديري معصمك ثم ارميها بسلاسة.» فصفعت وجه الماء وتراقصت ثم غاصت، ولحست جيما بتأجج مشاعرها حين ادركت الطريقة التي امسكها بها جايمس، كان قريباً جداً منها، عيناه على وجهها حين ادارت رأسها ورأت خطأها عندها. لقد امتص كل غضبها، كل توترها وبسمته البطيئة أعلنت نصره.

«أنتِ فائزة متأخرة. ربما؟ لا يمكننا أن نمضي بقية حياتنا نرمي الحجارة. متى ستكونين لي يا جيما؟»

«لن أكون لك.» حاولت أن تتحرك ولكن يده الثانية احاطت بخصرها. لم يزعج نفسه بالرد، بل وقف يتأملها وهو يضمها إليه على الشاطىء الهادىء والظلام يخيم عليهما: «إلى متى تستطيعين مقاومتي؟» تمتم برقة حين رفع رأسه ونظر إليها وصوته العميق واثق صارم اعادها

إلى الواقع. تحررت من يديه بسرعة وركضت نحو الدارة وقلبها يخفق بشدة. في استطاعة جايمس أن يجعلها تفعل أي شيء. سيقودها إلى مرحلة حيث تكون في خلالها مستجدية. عادت إلى وعيها وتوقفت قرب الشرفة، كان من الصعب أن تدخل وهي على هذه الحال. هستر لن تطلب تفسيراً عما حصل عندها. لحسن الحظ انها دخلت والظلام يخيم على المكان. جلست على السلم تشعر بالإجحاف. تحاول أن تخفف من ضربات قلبها والمشاعر التي في استطاعة جايمس فقط ان يثيرها. ليس لديها حل آخر سوى انتظاره.

جاء متجولاً في الظلمة ونظر إليها وقالت له بصوت مرتجف: «لماذا تفعل ذلك؟ لا يحق لك أن...»

«يحق؟ وعلق بوحشية: «يبدو لي أني فقط أتحمل مسؤوليات، سأحملها على عاتقي بسهولة اكثر حين تكونين لي. ثم اخذ يدها لكي تقف وتابع: «لندخل وننه هذا النهار.» ثم أضاف متضايقاً: «أنا تعب.»

بعد أن تناولوا الغداء، جلسوا على الشاطىء. كان ذلك ممتعاً لو لم تكن شينا راد كليف هناك أيضاً. سوف يكون دائماً أحد، إمرأة مع جايمس، بوجود خالته هناك، كان منتبهاً ولكن جيما لم تفوت النظرات التي رمتها شينا باتجاه جايمس، ولا النظرات التي رد بها عليها. تمنت لو أنها بقيت في انكلترا ولم تجبر على مشاهدة كل هذا. أي تساهل مع جايمس الآن غير ممكن وكل التوتر مصدره نفسها، لم يعد لديها شك. لماذا؟ الغيرة. اراد شينا راد كليف هنا لمتعته حين يمضي الوقت مع خالته. لقد اختار الممرضة بنفسه، لا

يمكنه حتى تمضية وقت قصير دون امرأة ما. وحين شاهدته يخرج إلى الشاطىء، فهمت لماذا؟ كانت تراقبه وهو يضحك ويتكلم وكان قلبها يخفق بثقل. كانت شينا ترتدي زي سباحة اسود من قطعتين بينما جيما كانت أكثر تحشما. فلم ترد أن يتفحصها جايمس بعينه، فربطت على خصرها منشفة خاصة بالشاطىء، فنظر إليها جايمس بمتعة، مستوعباً ما ترمي إليه. قالت هستر: «هذا جميل، اللون الأزرق يناسبك، كلون عينيك الزرقاوين.» علق جايمس مقاطعاً حديثه مع شينا «ازرق مخطط بالذهبي.»

اعطى هذا انطباعاً بانه دائم النظر إلى عينيها. واحمرت وجنتا جيما حين رمتها شينا بنظرة انزعاج. بدا ذلك تملكاً وخالته عاودت حياكة الصوف بين يديها ببسمة رضا على وجهها. لا شك في أنها تخالهما غريبي الأطوار، ولكنها تدري أن الأمور تجري ببساطة على كل حال. حسن، ان جايمس لم يترك لعبة التمثيل لها، كانت تتحاشى النظر إليه لأن هذا كان يؤلمها كثيراً.

قال جايمس: «سآخذ جيما في رحلة بحرية لساعات قليلة، هل ستشعرين بالوحدة؟» ونظرت جيما إليه بسرعة لتراه واقفاً ينظر إلى خالته التي تبسمت برقة. وقالت: «كيف سأشعر بالوحدة، يا جايمس، عندما تكون شينا هنا؟ هيا اسرعا، اعلم أن جيما ستتمتع.» لو لم تكن جيما محتارة لفكرة انها ستكون بمفردها مع جايمس لكانت ضحكت للحذاقة. اصدرت هستر أمرها منذ البداية، آنسة رادكليف لن تشارك في أي رحلة.

«عظيم، هذا سيريح ضميري.» ولمسك بيد جيما

ليساعدها على الوقوف، وهو يتابع: «تعالي، يا ملاكي.»

«سأبدل ملابسي وارتدي سروالاً وقميصاً.»

«تبدين رائعة كما أنتِ، لديّ مركب سريع، لن نجذف.» لم يمنحها حتى الفرصة لدخول الدارة. امسك بيدها جيداً وقادها إلى مرسى المركب القابع على حافة الماء بينما شينا مستلقية تنظر إليهما بإمعان.

انذرها جايمس: «لا تقاومي. تقدمي بهدوء، إننا مراقبان.»

«اعلم، تشعر بالخساسة لتركك شينا!»

«ليس في الواقع، أريدكِ لنفسي. لهذا سآخذك بعيداً، شينا من النوع الملتزم، لا تدعيها تقلقك.» احتجت جيما بصوت خافت: «ولِمَ؟ إنها لا تعني لي شيئاً ولا أنت أيضاً.»

«تقولين ذلك ببساطة وكأنك حفظته عن ظهر القلب. إذن، وبما أننا لا نعني شيئاً لبعضنا البعض استرخي، لدي شيء أود أن اريكِ إياه.»

كانت للمركب قمرة، متوسطة الحجم، وهاجة بيضاء. كانت هذه المرة الأولى التي تركب فيها جيما مركباً، فأحست بمتعة عارمة أنستها أوهامها.

«إلى أينَ نذهب؟» صرخت بصوت أعلى من صوت المحرك. وأجاب جايمس دون أن يلتفت وعيناه على جزيرة صغيرة في الأفق، خضراء وكانت تكبر حجماً كلما اقتربا. «هناك» تقدم ويداه ممسكتان بالمقود وتابع قوله: «إنها آمنة وهادئة ممتازة للإسترخاء. يمكننا أن نسبح بأمان. هذا المكان اروع من البقعة التي بنت عليها هستر دارتها.»

اوقف جايمس المحرك ورسا بقرب الشاطىء بينما وقفت جيما وتفحصت الشاطىء الذهبي والأشجار المائلة التي كادت أن تلامس الماء. «تبدو خاصة... لا أحب الدخلاء.» جلب حماسها بسمة شفافة لشفتيه فاجاب: «بالطبع تظنين بأني كذلك؟ من المدهش كيف أننا نعود إلى بداياتي. صدقاً لم أسرق التفاح منذ سنوات. أنا تقريباً محترم. في ليلة حالكة لا يمكنك الملاحظة.»

اطاحت سخريته بالمتعة التي بدأت جيما تحسها، واشاحت بوجهها، رافضة أي مناقشة. الآن بما أنهما وحدهما هنالك خطر داهم منه، وتمنت لو أنها ادعت التعب ورفضت المجيء. برغم أن أي ادعاء لن يقنع جايمس الذي يريد شيئاً ويناله اكد لها قاطعاً: «هذا المكان لي، اشتريته منذ زمن ولكني لم أقم أي بناء عليه بعد، أبقى مع هستر كلما أتيت، هناك الرفقة.»

مثل شينا! وعضت على شفتيها ولم تقل شيئاً. جلست على متن المركب ولم تظهر رغبة بالسباحة - ولا حتى عندما ذهب إلى الخلف وعاد بلباس بحر أسود وغطس من على المركب في البحر الأزرق. الشمس كانت حارة وكانت تتمنى لو تنضم إليه في الماء البارد. لفترة راقبته يسبح بقوة قرب المركب، يحوم حوله كالقرش، كمن يوحي بحركته أنها له، وهو هنا يحيط بها بعيداً عن العالم. ثم غطس تحت الماء فأحست بالإرتياح لأن العينين الداكنتين ابتعدتا عن مراقبتها، وعندما ظهر ثانية كان بعيداً عن المركب، متوجهاً نحو الشاطىء، بكل بساطة ذهب وتركها.

دفعها الانزعاج من وضعها إلى الوقوف، عرفت أنها مغتاظة، فرفضت حتى أن تناديه، ولكن اهماله لها كان واضحاً ورفضت قبوله. ليست في حاجة إليه على أي حال.

نزعت المنشفة عن لباس السباحة، ووقفت للحظة تنظر إلى الماء، ثم غطست ببساطة، ثم ارتفعت فوق السطح وسبحت حول المركب، ثم غطست ثانية لتنظر إلى عمق المياه الصافية مصممة على ان تتمتع ولتثبت لنفسها بأنها مثل جايمس تجيد ذلك.

في الواقع، لم تكن كذلك، لم تكن يوماً سباحة ماهرة وما عانته في المستشفى لم يساعدها على متابعة السباحة. نظرت نحو المركب فإذا بها بعيدة جداً. كيف تمكنت من الابتعاد كل هذه المسافة؟ حاولت أن تسترخي، ولكن في الواقع كانت تغوص وتعوم فوق سطح الماء باطراد.

اعتراها الهلع، من المستحيل أن تسبح ثانية نحو المركب ولا إلى الشاطىء.

«آه، جايمس.» هل كان هذا الصراخ الناعم صوتها؟ هل هذا يحصل لها، بهذا الإهمال، وهل سيهتم جايمس، حقاً سيهتم؟ وفجأة ادركت أنه من دون جايمس لن تسعد في حياتها على أية حال. وانتشلتها ذراعان قويتان لحظة إعيائها، برغم ذلك قاومت حتى استدارت ورأته. كان وجهه يلتهب غيظاً وبعد أن نظر إليها نظرة واحدة ادارها على ظهرها وبدأ يسحبها نحو الشاطىء. لم تحاول المساعدة لأنها لا تستطيع. للحظات معدودة احست بأنها عاشت حياتها كلها واشرفت على الموت فصرخ بها: «ماذا كنتِ

تفعلين؟» حملها لحظة وطأت اقدامهما رمال الشاطىء ثم وضعها على الأرض وجثا امامها لينظر إلى وجهها الشاحب.

«ظننت أني قوية كفاية لـ...» ترقرقت الدموع في عينيها ثم انهمرت لتغطي وجهها، ظل يراقبها وشرارات الغضب تتطاير من ملامحه.

«حسناً؟» هذا لم يعد ينفع الآن، إنما من الواضح انه كان يريد تفسيراً لما حدث «عندما تركتك كنت تجلسين بسكينة على المركب، وحين نظرت مرة ثانية وجدت متن المركب خاوياً، وأنتِ تسبحين كالمعتوهة تغطسين وتعومين. اللعنة، يا جيما! لم اعلم حتى أنك تسبحين، كنت اخاف أن تسقطي عن المركب من أي جهة وتغرقي.»

«لم اكن اعلم أن الأمر سيكون قاسياً... لم اسبح منذ سنوات. على أي حال، بدوت مشغولاً.» فارق الغضب ملامحه ليحل محله شعور ناعم «كنت على الشاطىء، هناك.» أشار بيده ولكنها كانت منهكة لدرجة لا تمكنها حتى من رفع رأسها. ثم تابع كلامه: «كنت أبحث عن مكان لأبني عليه.»

«لقد تركتني.» كان صوتها كصرخة طفل بريء، فأدارت رأسها خجلاً وصحح لها بهدوء: «لم اتركك. ظننت أنك لا تودين الإنضمام إليّ واحسست بالحرمان لكوني أنظر إليكِ فقط. ذهبت إلى الشاطىء لدقيقة.» ثم اوضح بقلق: «ظننت أن كل شيء على ما يرام، وأنك مرتاحة في جلستك.»

«كان عليك أن تخبرني.» الآن بما أنها بأمان بدت غاضبة وجلست لتحدق به. ليس لديه أدنى فكرة عما كانت

تفكر فيه، انها لن تحبه، فقالت: «ربما وددت القدوم معك لأنظر أيضاً.»

اعادها إلى الخلف لكي تستلقي بلطف وقال بهدوء: «لم افكر، في أنك تودين أن تعلمي. بعض الأحيان، لا يمكنني أن اكون معك لمراقبتك يا جيما. عليّ أن اعوّض عن حرماني بأشياء أخرى.» ضحك ضحكة صغيرة، ثم اردف: «لو أن المواد جاهزة هنا لابتدأت ببناء المنزل الآن.» وقف ونفض الرمال عن قدميه وأمرها قائلاً: «تعالي، سنعود.»

جيما لا تريد أن تتحرك. فجأة احست بالنعاس، الشمس بدأت تجفف بشرتها فأرادت أن تستدير لتأخذ غفوة، وضعت رأسها على ذراعها وقالت: «فقط اتركني اغفو لدقيقة.»

«لا يمكنك النوم هنا. ستحترقين.»

«دقيقة واحدة... ارجوك.»

«كيف لي أن أرفض رجاء كهذا، دقيقة واحدة فقط، ابقي هنا، لا تتحركي حتى أعود...»

«لا استطيع.» وابتسمت بمتعة لفكرة انها مستلقية على الرمال ونائمة. وبعد أن تأملها قليلاً، استدار وعاد إلى المياه الدافئة.

غرقت في النوم فوراً ولم تسمع صوت المركب حين اقترب من الشاطىء. اول ما احست به هو يد جايمس تربت عليها بلطف لتوقظها.

«انهضي يا جيما، سنعود إلى المركب.»

«هل بقينا هنا طويلاً؟» رفعت عينيها الناعستين ونظرت إلى وجهه الداكن حين أكد لها: «ليس طويلاً.» وأمسك يدها

ليساعدها على الوقوف، وهو يتابع: «لم تمض دقائق منذ أن تركتك. والآن لا تستطيعين التذكر أين أنتِ؟»

«استطيع، نحن على جزيرتك الصغيرة. أنا متعبة لأني غبية، نسيت نفسي، المرة القادمة...»

«لن يكون هناك مرة قادمة بعد هذا المهرجان. سأتذكر أنك تبدين أفضل بفستان سهرة.» بهذه الموعظة تركها تأخذ طريقها خلفه نحو المركب وحدها. من الواضح أنه محتار في أمره معها، حتى أنه لم يمشِ إلى جانبها، ليست في حاجة إليه، على كل حال! الشمس محرقة اكثر مما كانت تتوقع والسير على الرمال مزعج. خالجها شعور غير طبيعي. أحست لأول مرة في حياتها بأنها مغرمة. ارادت أن تعانق جايمس وتخبره بذلك ولكنها لم ولن تكون بهذا الغباء، احست بشعور غريب، وبعدها بدوار اجبرها على السقوط على ركبتيها. وبدأت الأرض تدور بها فوضعت رأسها بين يديها مغمضة عينيها. صرخ جايمس: «جيما؟» وعاد إليها بسرعة ونظرت لتراه واقفاً امامها رجلاه قويتان وسمراوان، صدره الرائع عريض وبعضلات بارزة. «ماذا هناك؟»

«لست ادري، كل شيء يدور، حدث ذلك فجأة.»

«إستلقي لدقيقة.» بدا مهتماً وفعلت كما طلب منها. «أظن أن الأمر حدث لعدم لياقتي البدنية وضعف صحتي في الوقت الحاضر.» جلس بقربها وحين فتحت عينيها بدا مهتماً وغاضباً معاً.

«تقومين بالأشياء الأكثر غرابة، هل كان عليك أن تغطسي وتبرهني على أنك بجدارتي؟»

بدأ الدوار يزول فجلست وأحست بالإزعاج. ها هي تتعذب لأجله، وكل ما في وسعه فعله هو انتقادها. «لم احاول أن ابرهن أي شيء، كان إهمالاً منك أن تغادر وتتركني وحدي.» لمجرد ذكر ذلك تضايقت ثانية ووجهه ارتاح قليلاً.

«تريدينني أن اكون معك. وأهتم بك؟» بدا صوته هادئاً، رزيناً ووجه جيما اشتعل من الإحراج.

«لست كذلك! انزعج إن خرجت مع أحد واهملني. لم اعتد على ذلك، وافقت على مرافقتك، احببت أن استطلع من أنت.» فرفعها بين يديه وقال: «يا مجنونتي المسكينة الصغيرة. سأحملك إلى المركب. تحتاجين للشرب. أظن أن الشمس ضربتك لطالما علمت بأنك ستصلين إلى القمة.»

«فقط لأني لا أهتم لأمرك؟» كانت ترتجف حين يمسها، والآن وهي بين ذراعيه فإنها ترتجف لكون بشرتها تلامس بشرته.

«أنتِ تريدينني يا جيما. لست أعمى، أحس بك ترتعشين.»

«انها الصدمة.»

«صغيرة بلهاء.» لم ينظر إليها، تابع مسيره، نحو المركب ووضعها على متنه وقال: «لا انوي أن اخسرك، لم اتعود الخسارة.» صب لها كوباً من الماء البارد وراقبها وهي تشربه بظمأ.

«لقد شربت تقريباً نصف المحيط. ومعظم الشاطىء. عليك أيضاً أن تأخذي حماماً.»

«عندما اعود إلى الدارة.» كانت فخورة بصوتها الحازم، القاطع.

«ستأخذينه هنا» وأشار إلى باب صغير جانبي «احتاج إلى حمام أنا ايضاً، لا تترددي، يا آنسة ليل.»

كان تهديداً مبطناً، وجيما امتثلت، فأحست بارتياح حين اغتسلت بالمياه الباردة. مدت يدها من خلال الباب لتتلمس المنشفة فناولها جايمس رداءً.

«اعطني لباس السباحة، سأجففه لك.» طلب ذلك، فخرجت مرتدية رداء الشاطىء وناولته ما طلب.

استلقت في القمرة لتريح جسدها. «تنامين ثانية؟» كان جايمس يقف امامها يسرح شعره، رابطاً حزام ردائه حول جسده باحكام. «لا. أنا... أنا أفكر. اشعر بغرابة.»

«هل تشعرين بألم؟»

«بالطبع لا. لم أؤذ نفسي.» وابتسمت ابتسامة لطيفة: «ربما، كرامتي.»

«كنت افكر بالجراحة التي أجريتها.»

«اخبرتك بأني بخير، لو لم أكن كذلك، هل تتخيل بأني كنت غطست وسبحت حول المركب مثل... مثل؟»

«كشخص تائه؟ ظننت أني لم أعد اكترث لك.»

«تخيلت أنك مستاء كعادتك. هذا يختلف.»

«ربما، هذا صحيح. فأنتِ تهتمين لأمري، جيما، اعترفي.» اقترب وجلس قربها، بقربٍ باعث على الخطر.

«لا» انكرت بصراحة محاولة الإفلات، تقاوم لتنهض، الأمر خطير، بمفردها هنا مع جايمس. يداه تمسكان بكتفيها، مما تركها تحدق بعينيه: «نعم، أنتِ تهتمين، ما من داعٍ لأن تقتلي ما في داخلك، أنا هنا.» واقترب منها وهو يتابع:

«أريدك، وأنتِ تريدينني» اجابته بلهجة متوترة: «كلانا يعرف ذلك. ولكني لن اتزوج منك، واريدك ان تعرف هذا ايضاً.» ستتذكر دائماً كيف بدا حينها، وجهه شاحباً من الصدمة، وعيناه متشحتين بالسواد، ولم يقل شيئاً البتة. بعد لحظات اتجه نحو المحرك ليديره، ارتدت لباس السباحة ثانية وجلست خارجاً على متن المركب وانطلقا في رحلة العودة.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

حين وصلا إلى مرسى المركب عند الدارة تكلم جايمس أخيراً: «لماذا، يا جيما؟» بدا صوته جافاً فلم تستطع الإجابة. تجنبت نظرته إليها بتثبيت المنشفة جيداً على جسدها فوق لباس السباحة، تضيع الوقت حتى بدا مستعداً للإنفجار.

«أنظري إليّ يا جيما، اللعنة.» شتم بخشونة ولكنها رفضت رفع رأسها: «لا أريد، يا جايمس، ولا أريد النظر إلى نفسي ايضاً. أشعر بأني رخيصة.»

«ماذا؟» كان صوته متوسلاً، تعباً، فيما بدا وجهها ساكناً. «لا استطيع تحمل ما اشعر به الآن، يا جايمس.» قالتها بثبات، وهي تجبر نفسها على إبقاء نظرتها هادئة أما عينيه الغاضبتين، المشعتين: «أشعر بأني رخيصة، شئت ذلك أم لا» لم يتكلما ثانية حتى بعد أن نزلا إلى الشاطىء وسارا نحو الخالة هستر التي كانت تجلس وتنظر إلى البحر عندها فقط انفرجت أساريرها. وقالت حين شاهدت وجه جيما: «ما بك، يا جيما، يا عزيزتي. هل أنتِ بخير؟» تدخل جايمس مقاطعاً قبل أن تتكلم جيما:

«إنها متعبة، وسبب ذلك، كما أظن، هو الشمس.»

«نعم، سأذهب لأرتاح.» وأسرعت جيما في الانصراف قبل أن تقترح هستر رعاية شينا لها. على أي حال، رغبت بالهروب من جايمس ومن وجهه المؤنب الغاضب.

دخل جايمس بعد ذلك إلى غرفتها، فأبقت عينيها مغمضتين لتريح نفسها من عناء الاعتذار لجايمس. فمشى نحوها ووقف ينظر إليها وهي دون حراك، من الواضح انه لم يخطىء. لأنه قال: «أعلم أنك مستيقظة، لا بأس، أنا خارج. أنا خارج مع شينا.» كان هذا كافياً لكي يثير غضبها، ولتفتح عينيها الواسعتين ولتقول: «اقترح أن تذهب فوراً على أي حال، لا يجدر بك أن تدخل إلى هنا، ماذا ستظن الخالة هستر...؟»

همس بتوتر: «لا آبه لما يقوله الناس. أعلم فقط ما افكر فيه، أنت تريدينني، تهتمين لأمري، ولكنك تفضلين الموت على الإفصاح بذلك. لا تزعجي نفسك. أنا أتدبر امري، حتى لو شعرت بأنك رخيصة.»

«لم أقصد...»

«اعذريني، يا جيما» اوضح: «لقد فضحتِ احاسيسك في اكثر من مناسبة. ليس لديّ شك ابداً في ما تشعرين به حيالي.» وخرج بهدوء بينما بقيت جيما ممددة على سريرها تنظر إلى الباب المغلق. هل حقاً يعتقد أنها تحس بأن الزواج منه غير وارد؟ عالمه يضج بالنساء.. واحدة منهن هنا في هذا البيت. ومع ذلك يريدها. ربما الآن سيتجاهلها، ولا تدري كيف ستتحمل ذلك. لتحمي نفسها، جرحت واغضبت جايمس وتعابير صوته كانت حارقة ومتوترة. شينا رادكليف ربما كانت بين ذراعيه الآن تبتسم له. ما ستظن هستر الآن؟ بعد هذه الخطبة يظهر عدم الإكتراث بوضوح. هل ستكون هي من سيشرح الالتباس؟

لا يمكنها البقاء في «الدروب الساطعة» بعد الآن، لقد حان

الوقت لكي تقف على قدميها لتتخلص من الماضي وجايمس.

لم تبق في السرير. لا يجدر بها البقاء هنا بينما الخالة هستر وحيدة في الخارج. انتظرت لتسمع هدير محرك السيارة يدور، ثم تغادر فارتدت ملابسها وخرجت لتجد الخالة. «لماذا نهضت يا جيما؟» كان محبباً سماع اهتمام الخالة هستر الواضح: «ظن جايمس أنكِ ستبقين في الفراش.» أكدت لها جيما: «أنا بخير، لقد جلبت كل هذا لنفسي بسبب غباء. لم أتدرب على السباحة منذ سنين وقفزت في البحر وسبحت كالضائعة. أنا المسببة لذلك.»

قالت هستر بتعجب: «حسناً، فوجئت كيف سمح جايمس بذلك. ظننت أن لديه اكثر من حصته بالمشاركة.»

«فعلاً إنه يهتم ولكنه لم يكن معي.» ارادت أن تبعد جايمس عن الملامة وعينا هستر لمعتا بالمتعة متوقعة ايضاحات. «تركني جايمس لفترة ورغبت في السباحة، من دون أن اعي النتائج.» نظرت جيما إلى الخالة هستر باسمة وقالت: «لم يكن مسروراً بذلك.»

وضحكت هستر. وقالت: «أتصور ذلك.»

«حسناً، هذا مريح، ويفسر سبب عبوسه، ظننت لفترة..» نظرت إلى جيما بتقدير وتابعت: «افترض أني اتوقع الأسوأ. لم أصدق أن جايمس سيتزوج. لم افكر أنه قادر على مصارحة امرأة بحبه لها. قوي وناجح، احساسه رقيق. لقد امضى طفولة بائسة. وقابلت جيما العينين الواضحتين: «اعلم، اخبرني عن امه بما فيه الكفاية.. ليس كثيراً، ولكنه كافٍ لأعرف كم قاسى من التعاسة.»

«لم تكن زوجة مسحوقة فقط، يا جيما» وضمت شفتيها: «ذلك الوحش، احتفظ بشراسته وعنفه لجايمس. أحياناً أجد أن من الصعب الغفران لوالدته ماريون لعدم مجيئها إلى العائلة، ورعاية طفلها ولكن جايمس تفهم الوضع. لقد احبت زوجها كثيراً لتسامحه على عنفه، ولترى جايمس يغرق في قوقعة من حماية النفس. عندما قدمت إلى هنا مع جايمس غمرتني السعادة. إنها مفاجأة العام.» عينا جيما كانتا على اصابعها المتشابكة وتخيلت صورة جايمس تتراقص امام عينيها؛ القوة والكمال الساطع تلاشيا ليظهر طفل صغير اسود الشعر محروم من الحب.

«هل أزعجتك؟» صوت هستر اللطيف تسلل عبر افكار جيما المصدومة ورفعت نظرها والدموع تترقرق في عينيها، وقالت: «كلا. لقد فهمت الآن.» سألت هستر مستوضحة: «لأنه لا يتكلم عن الحب؟ لقد راقبتكما يا عزيزتي. ورأيت تصرفاته.»

«يقول انه يحتاجني.» وأحست جيما انها في حاجة إلى العون، إلى وجود شخص تتعلم معه، فأحست هستر بها واقتربت لتجلس أمامها، وغطت يدي جيما بيديها.

اقترحت برقة: «ربما كان هذا اقرب ما يكون إلى اعتراف جايمس بالحب. اعرف جايمس منذ سن التاسعة عشرة، ومضى وقت طويل إلى أن اخبرني بأي شيء، طوال هذا الوقت لم يعترف بحاجته لشيء.»

همست جيما: «أنا... أنا لست متأكدة... أي نوع من الحاجة؟ جايمس يريد الزواج مني ولكن هناك العديد من النساء. حتى أنه خرج لتوه مع الآنسة رادكليف لـ..»

«بالتأكيد لم يخرج!» بدت هستر مأخوذة ثم مستمتعة «أهذا ما اخبرك به؟ يحب أن يشوش الأفكار.» وقفت وقرعت بالجرس وقالت: «سنشرب الشاي، على ما أظن» أضافت وعيناها تتراقصان حول جيما: «جايمس ذهب ليحضر لي شيئاً. والآنسة رادكليف ذهبت لزيارة الأصدقاء في الاتجاه المغاير. ولكن جايمس يبدو بنفسية سيئة مما لا يشجع.»

دهشت كيف أن هذه الأخبار رفعت من روحها المعنوية، ومستغربة أيضاً. كان هناك شيء ما بين جايمس وشينا، عرفت ذلك. ولكن، لا يوجد شيء يلغي روما بريسكوت.

عندما عاد متأخراً، عبس بوجهها. كان واضحاً، أن ما يضايقه أقوى من أن يسيطر عليه، وان يخدع خالته أيضاً ـ هستر ليس من السهل خداعها، كما وجدت جيما. «هل تذكر، يا جايمس، اننا سنقيم الاجتماع المعتاد الليلة؟»

«أتوقع ذلك.» اخبرت هستر جيما: «عادة، يأتي الأصدقاء لزيارتنا ليلة الميلاد. نأخذ شراباً ونجتمع معاً. وغداً نذهب لزيارتهم. انها دائرة اجتماعية يعوض بها عن الشجرة والكرات الملونة عليها. نوزع الهدايا عادة قبل حضورهم.» تعمدت جيما عدم النظر إلى جايمس. وبدأت تفكر بأعياد الميلاد السابقة. الهدايا المنتقاة بعناية من قبل جايمس وعدم شرائها واحدة له ولو مرة واحدة. هذه السنة درست هذا الموضوع بعناية. كان لطيفاً معها، ساعدها، وتمتعت في البحث عن هدية ربما يريدها.

لم يكن الأمر سهلاً، إذ أن لديه كل شيء، ولكن الوقت القليل الذي امضته في شقته أوحى لها بفكرة. الهدية معها هنا

وملفوفة بعناية فوق ومخبأة بين الأغراض، الآن بما أنه فهمها تماماً من الصعب تقديم الهدية له.

وصلت شينا قبل ذلك، فذهبت جيما إلى غرفتها لتتحضر، فاختارت ثوباً كحلياً من الشيفون. مستديراً حول العنق وبأكمام طويلة، واسع وطويل. عادة، كانت تشعر بالفخر، ولكن ليس الليلة. كانت متوترة، خائفة من ملاقاة جايمس وتمثل أي دور غرام ومحبة امام الناس. بينما كانت تدخل غرفة الجلوس الطويلة التي تواجه البحر، كانت شينا هناك، وكذلك جايمس، انكمش قلب جيما حين رأت شينا، لا يمكن نكران روعة شينا رادكليف بفستان ابيض ملاصق للجسم. بدت أنيقة جداً. وللحظة لم تدر جيما ما تفعل كونهما يحدقان بها. سأل جايمس: «أتريدين شراباً منعشاً، يا جيما.» وعبر الغرفة ليحضر لها شراباً: «سنأخذ قطعة خبز قبل المقبلات.»

«من دون مقبلات، ارجوك، يا جايمس.» ضحكت هستر، وهي تدخل: «كيف لي أن اتحمل أكل المقبلات الآن وبعدها مجاملة الأصدقاء بأكل ما هو موجود على الموائد. إنهم أصدقاء قلائل يا جيما.» اضافت قائلة: «لا تدعيه يرعبك.»

سأل جايمس بجفاء: «كيف لي أن افعل هذا؟ جيما مضيفة متمرنة، تعودت على تنظيم وإدارة منزل ضخم وتتعامل مع أي شخص، إبتداءً من غداء العمل إلى سهرات نهاية الأسبوع. إنها الآن تدير مكتبي بنشاط أيضاً. لا تدعي مظهرها الناعم يغشك، تستطيع التأقلم مع أي شخص، حتى أنا.»

الإطراء المبطن لم يعجب شينا، نظرتها إلى الخطيبة

الضعيفة تبخرت. بدت هستر مستمتعة، خصوصاً أنه اوضح ذلك لا للإطراء، بل لأنه قال ما في عقله وقلبه.

اعلنت بفرحة كالأطفال: «في الوقت الحاضر، أحب وضعي الحالي اكثر من أي شيء.» جلست هستر بين الهدايا، دخل الخادمان ومعهما هداياهم أيضاً. فوجيء جايمس حين توجهت جيما إلى غرفتها وعادت بزجاجة عطر لشينا وببروش للخالة هستر وقالت: «آسفة، لم استطع شراء ألماس.» وابتسمت حين ثبتت هستر البروش على فستانها.

«عزيزتي، إنه جميل، على كل حال، تعرفين ما تختارين.» اعترفت جيما: «توقعت أن لجايمس خالة أنيقة.» مما أرضى جايمس. لا شك في أنه ظن بأن هذا نوع من السخرية. اعطته هديته قبل أن تنهار اعصابها ـ لفافة طويلة ملفوفة بعناية، كانت خائفة من أن تتلف. النظرة في وجهه تؤكد أنه مندهش ولدقيقة لم يفتحها وقال: «لي أنا، يا جيما؟ لقد حملت هذه كل تلك المسافة لي؟» احست بأنها ستبكي وارتجفت لفكرة أنها إما تناست كل شيء، أو أنها تذكره لعدم تقديمها له أي هدية في السابق عمداً.

«كان عليّ أن احملها. علمت أن لا وقت لديّ هنا لاشتري هدية.» آملة أن يتفهمها. ثم فتح اللفافة. وحركته جذبت أنظار الحضور جميعهم، فبدت جيما كطفل يقدم تفاحة لسيده المطاع.

كانت لوحة زيتية بإطار رائع، فحدق بها إلى أن اشتعل وجه جيما احمراراً.

«ألم تعجبك؟» نظر إليها بعينين ضاقتا وبرقتا، فقفزت خالته من مكانها لتلقي نظرة.

«إنها جميلة يا جيما! لا بد أنها تساوي الكثير.»

«تطلبت وقتاً طويلاً لإيجادها وخاصة الألوان، وأظن ان جايمس سيحبها.»

«لا تبرري، يا جيما، حبيبتي.» قالها بهدوء وهو يتقدم نحوها: «لقد أحببتها.» وعيناه تنظران إلى الوجه المضرج، ينظر إلى أعمق مما كانت تبديه.

«أظن أنك انتقيت المكان المناسب لوضعها في «الدروب الساطعة»

«لا، إنها لشقتك، ربما للصالة؟» اقترح برقة: «أو حتى فوق السرير.» «شكراً.» وامام عيني خالته المسرورتين وعيني شينا المتحجرتين عانق جيما وقبلها من وجنتيها بشغف. ارادت أن تعانقه وتطلب منه الغفران نظراً لحنانه المفاجيء. أما جايمس فأهداها سواراً يتناسب والعقد الذي اهداه لها سابقاً. كانت سعيدة بنجاحها في انتقاء الهدية، لدرجة انها لم تسأل عن هدايا الآخرين. خلال المساء أحست بأن نظرات عينيه تتبعها اينما ذهبت، وبعد أن وزعت الهدايا، حضر الأصدقاء وأقاموا حفلة مبهجة معهم، كما كان ثمة شابان اعلنا بوضوح عن إعجابهما بها.

«تعالي، لنخرج ونتنشق هواءً منعشاً.» دعاها جايمس حين كانت جالسة في زاوية مع شاب معجب. الإبتسامة الجافة التي اطلقها إلى الشاب، جعلت الإعتذار مستحيلاً ووجدت جيما نفسها بعد لحظات خارجاً في الجو اللطيف على الشرفة.

اعلنت بسرعة: «لا يمكننا البقاء خارجاً هنا.» بدا عاطفياً

قليلاً حين قال: «لا أحب أن يسرقك مني الناس. هذا يسرق مني فرحة الميلاد.»

سألت جيما بهدوء: «بالتأكيد، يحق لي أن أتمتع بمثل حقوقك في هذا العالم المتمدن؟ معظم الوقت أنت محاط بالسيدات. شينا في الواقع احاطتك وحدها لفترة.»

ابتسم فجأة وجذبها نحوه وعيناه الداكنتان تلمعان وهو ينظر إليها. «آمل أن تكوني قد انتبهتِ إلى ما قلته لي. نحن ما زلنا نراقب بعضنا البعض بامعان، كلانا يغار.»

كذبت جيما: «بالطبع، لست أنا.» ونظرت إليه بثبات. محادثتها لخالته غيرت من تصرفاتها وعززت من ثقتها بنفسها. «لن نتجادل بذلك.» ضمها إليه ولم تبد أي مقاومة لتحرر نفسها.

«أريد أن اسألك سؤالاً واعترف بأنه غير لائق. اعرف أن ذلك لا يحق لي، ولكن الفضول سيقتلني. كيف استطعت شراء اللوحة الثمينة؟»

«لم تكن باهظة الثمن.» حذّرها برقّة: «جيما! لست بجاهل. اعرف قيمة الشيء حين اراه، كما اعلم، أنتِ مفلسة، تريدين استئجار شقة رخيصة لعدم توافر المال معك، والآن تعطين هدية ثمينة. كيف؟»

اعترفت بهدوء: «أنا... أنا بعت خاتماً أهداني إياه أبي، كما كنت أريد أن ارتدي ثياباً تليق بي اكثر في العمل.»

«حين اصبحت مساعدة شخصية مهمة؟» قال ذلك، لكي تحس الآن بانها غبية.

«نعم!» نظرت إليه بعينين ثابتتين، فزم شفتيه بمتعة «مجنونة.» أضاف بوثوق: «لقد اشتريتِ لنفسك خزانة

لملابس المكتب؟» وطاطات رأسها: «لا. لقد.. لقد رأيت اللوحة و... و...»

«عليّ أن أشفيك من هذا التردد» قالها برقة وهو يتحسس وجهها: «وعليّ أيضاً أن أضع حداً لكذبك.» حاولت الإفلات من يديه ولكنه ضمها بقوة: «تحرمين نفسك من حاجاتك لتشتري لي هدية، وأنتِ لا تهتمين لأمري، يا جيما؟»

ليس من داعٍ للانكار، ما قالته سابقاً يقلقها، كيف كانت تحرجه. فارتمت على صدره لتخفي عينيها.

«أنا اهتم لأمرك، لا يمكنني الإنكار، لكني لن اتزوج منك، برغم ذلك يا جايمس، ومع كل هؤلاء النساء...»

سأل بنعومة: «هل وصلنا مرحلة النقاش؟»

«ليس هناك أمر للنقاش؟ أنا حتى أعلم.»

«أحقاً، يا جيما؟ أتساءل إلى أي درجة تعلمين؟» ادار وجهها إلى ناحيته، ونظر إليها نظرة مكر، خرجت هستر إلى الشرفة واعتذرت: «آه، أنا آسفة، جايمس. لم أكن اريد أن لكون فضولية.» لم يكن هذا حقيقياً، نظرت هستر، الفرحة تثبت بأنها اتت لتستطلع إن كانت الأمور تجري على ما يرام بينهما، ابقى جايمس جيما بين ذراعيه واستدار إلى الخالة. وقال: «سنعود إلى المنزل غداً.» أجابته: «حسنا، يا عزيزي. أعلم بأنكما ستعودان قريباً. ادخلا الآن، أو حين تستعيد جيما انفاسها.» واختفت ثانية وامسك جايمس وجه جيما وأداره نحو ضوء القمر.

تمتم قائلاً: «عودي معي إلى لندن لا نستطيع الكلام هنا. هستر مثل كيوبيد. أريدك لي.»

«حسن» تعلم تماماً على ماذا كانت موافقة، ولكن لا يهم، إنها تحب جايمس.

وصلا لندن ليجدا أن البرد القارس لا زال مسيطراً. البرد كان سهلاً نسيانه بينما كانا في بيرمودا، ولكنه الآن يفرض نفسه والسماء الملبدة بالضباب بقيت كما هي منذ رحيلهما.

توجه جايمس مباشرة إلى شقته، كان الوقت مبكراً جداً للتوجه نحو «الدروب الساطعة» ونظر إلى وجه جيما المتأثر وقال:

«للمناقشة، ليس اكثر، سنتناول الغداء معاً وأعيدك بعدها إلى «الدروب الساطعة.»

كان جرس الهاتف يرن بإلحاح حين دخلا الشقة. فتناول جايمس السماعة متضايقاً، بعد أن استمع، تغيرت ملامحه.

سأل قاطعاً: «متى؟» فعلمت جيما ان في الأمر طارىء. قال بأسف: «عليّ الذهاب، يا جيما. إحجزي لي على اول رحلة متوجهة إلى مدريد.»

«ما الأمر؟» سألته وهي متجهة نحو الهاتف وهو نحو غرفته: «المجمّع الكبير الذي نبنيه في جنوبي إسبانيا. بدا أنه ليس لدينا تصريح رسمي لمتابعته، وهذا فعلاً مقلق، بما أن العمل أصبح في مراحله النهائية، من الواضح أن في الأمر التباساً، عليّ الذهاب وتسوية الأمور.»

دخل غرفته، فتناولت جيما الهاتف محاولة تنفيذ ما طلبه منها. لا شيء يردع جايمس، ولن يأخذها معه، فهي تعرف هذا، أيضاً.

هنالك رحلة بعد ساعة، فحجزت له مقعداً، وأخبرته بذلك

حين دخل الصالة ثانية، كان قد استبدل ثيابه مستعداً، ويحمل حقيبة صغيرة بيده.

سألها: «أتريدين البقاء هنا حتى أعود؟» ولكنها هزت رأسها نافية. «حسناً.» لم يبد مهتما للأمر، مع هذا الأمر الطارىء لم تعد محور تفكيره «خذي سيارة المرسيدس، سأستعيدها حين أعود.»

دعاها ذلك لأن تتشجع وترد له خاتم الخطوبة «أين سأضع هذا؟» ونظر إليها جايمس شزراً.

«كوني منطقية، ماذا لو يعود إلى إصبعك ثانية؟»

«لا استطيع يا جايمس. كان فقط من أجل خالتك والآن هي ليست هنا.»

استدار متضايقاً، متحمساً للمغادرة اكثر من أي شيء آخر.

«اتركيه على الطاولة، إذن.»

«على الطاولة؟ إنه ثمين!»

«دون أن تضعيه في إصبعك، لا قيمة له على الإطلاق.» صوته قاسٍ كوجهه فتناول الخاتم من يدها ووضعه على الطاولة بنزق.

«لنذهب.» خرجا معاً واوصلته جيما إلى المطار. «إلى متى...؟» لا أدري، ساعلمك في ما بعد.» وأخرج مفتاحاً من علاّقة مفاتيحه وناوله لها، وقال: «هذه نسخة عن مفتاح الشقة.»

«لن أحتاجه، لن أكون...»

«خذيه!»

بدا متوحشاً قبل أن يستدير. وخرج من السيارة واتخذ

طريقه بينما أخذت جيما طريق العودة إلى «الدروب الساطعة». لم تكن تستطيع أن تفعل شيئاً لمساعدة جايمس، من الأفضل العودة ثانية إلى العمل. اتصل بها تلك الليلة، مباشرة بعد رجوع جيسي.

«كيف تجري الأمور؟» حاولت جيما أن لا تبدو كزوجة قلقة، ولكنها تعلم كم تؤثر مثل تلك الأمور بجايمس.

«ليست بالسوء الذي توقعته، رجل واحد هو المحور. لا تتوقعي حضوري قبل عدة ايام.»

«ماذا عن الملابس؟ لقد اخذت فقط حقيبة صغيرة.»

«صدقيني، إنهم يبيعون القمصان في اسبانيا وإن فشلت، سأجد مصبغة. إنسي الأمر، هل عادت جيسي؟»

«نعم، لقد عادت منذ حوالي الساعة، إنها تثلج خارجاً الآن.»

قال متكدراً: «حقاً؟» مشكلات أخرى للأبنية ستظهر. انتبهي على الطرق.» واقفل الخط. من دون كلمة رقيقة، أو عبارة اشتياق. لقد دعاها «حبيبتي» ليسعد خالته و«حبيبة قلبي» للسخرية. لكن لن يكون هناك أي كلام عن الحب من جايمس.

الفصل العاشر

العودة إلى العمل في اليوم التالي، كانت متنفساً، حيث ابتدأت عملها من حيث تركته. بما ان جايمس خارج البلاد، الأعمال تراكمت فوق مكتبها، ولكن جيما لم تشعر بعدم القدرة على السيطرة. ما لم تستطع التأقلم معه كان الوحدة، وعدم رؤيته، وحتى انه لم يتصل البتة. عدة أقسام تلقت اتصالاته، ولكن، ليس جيما.

في المساء الأول تركت سيارته قرب شقته، واستقلت القطار لرحلة العودة إلى المنزل، وبعدها استعملت سيارتها.

تساقطت الثلوج مدة يومين من دون توقف، مما جعل التلال باردة وبيضاء. الطرق كانت واضحة ونظيفة حيث لم تكن هناك صعوبة في التنقل إلى العمل هذا عدا عن تحذيرات جيسي بتوخي الحذر خوفاً من كارثة.

عند نهاية الأسبوع، قادت السيارة في اتجاه المنزل والجو يلفه الضباب ولم تحس بالارتياح إلا حين دلفت إلى مدخل «الدروب الساطعة» ورأت الأضواء في المنزل. في طريق عودتها رأت حادثي سير وعدة سيارات انزلقت عن الطريق العام. حرارة المدفأة في غرفة الجلوس والنار المشتعلة فيها دعتها بترحيب، من حسن حظها أنه يوم الجمعة، حتى يوم الاثنين تكون الطرق قد نظفت من الثلوج.

حيّتها جيسي ببسمة عريضة وصبت لها فنجاناً من

الشاي الساخن وقالت: «إنه في طريق العودة، لقد تلقيت مكالمة من المكتب بعد مغادرتك. لقد استقل طائرة الساعة الثالثة من مدريد.» نظرت إلى الساعة، وتجهم وجهها. «لا بد أن طائرته تحط الآن في المطار.»

لأسابيع خلت، لم تكن جيما تحس بما تحسه الآن، جايمس عائد إلى المنزل. من دونه أحست بالضياع، ومهما حصل، لم تستطع إنكار ذلك. لم تكن تدري أن انفعالاتها كانت بادية عليها إلا حين قالت جيسي: «عرفت منذ البداية.» وذهبت تحضّر العشاء.

تركت جيما العمل باكراً بسبب الطقس، كانت الساعة تشير إلى الخامسة والنصف، ولكنها جائعة، مرتبكة وغير مرتاحة.

«سآكل شيئاً حتى يحين موعد العشاء.» أعلنت جيما بينما كانت تتجه نحو المطبخ.

وافقت جيسي: «حسناً، هذه احدى أفضل أفكارك. أتساءل إن كان السيد ساندرسون سيأتي للعشاء.»

قالت جيما: «أنا متأكدة من أنه سيتوجه مباشرة إلى شقته. وعلى أي حال، لن يستطيع الوصول إلى هنا، فأنا أشك بذلك، لأن الطرق غير معقولة.، مهما هِمتِ به، لن تشاهديه هنا.»

أشارت جيسي بقسوة: «ولا أنت. لو كنتِ متزوجة، لكنت أمضيت الوقت قلقة عليكما، لأن السيد ساندرسون سيصحبك إلى المنزل.»

أوضحت جيما: «السلامة على الطرق ليست سبباً وجيهاً للزواج.»

أخذت جيما طعامها وتوجهت إلى غرفة الجلوس لتجلس قرب النار والبسمة على وجهها، فجأة كل شيء أصبح واضحاً في تفكيرها، ستتزوج جايمس حين يطلب منها ذلك مرة ثانية. الحياة من دونه قاتمة وغير سعيدة. للمرة الأولى في حياتها ترى مستقبلها واضحاً أمامها، وفي منتصفه صورة جايمس الحيوية، السمراء، الطويلة. لا يمكنها الادعاء بعد ذلك انها مرتاحة بجلستها قرب النار. أنهت طعامها، وأدارت التلفاز، ليست منصتة تماماً، ولكن مسترخية ودافئة. الأخبار استرعت انتباهها لبرهة قصيرة حيث ان تفكيرها كان بعيداً لأميال مع جايمس، غير ان مشهد المطار على الشاشة أعادها لحالة الوعي.

«لقد وصلتنا أنباء عن حدوث كارثة طيران، طائرة الساعة الثالثة القادمة من مدريد إلى لندن سقطت فوق «البيرنيه» على اثر عاصفة ثلجية. حتى الآن لم ترد أي معلومات عن ناجين. إليكم الأرقام التي يمكنكم الاتصال...» للحظات صدمت جيما وتجمدت واكفهرت. «جايمس، جايمس.» جلست تردد اسمه، مدهوشة غير مصدقة لما سمعت وضائعة، فقط صوت جيسي وهي تدخل الغرفة أعادها إلى الواقع، واسرعت نحو الهاتف لتطلب الرقم الذي ظهر على الشاشة. وتمتمت وهي تحاول الاتصال: «لقد تحطمت. طائرة الساعة الثالثة من مدريد تحطمت.»

أصابعها لم تعد تعمل فتقدمت جيسي وأخذت منها الهاتف. وسألتها: «هل أنت متأكدة يا جيسي؟ متأكدة من أن جايمس على تلك الرحلة؟»

«نعم، يا حبي، أنا متأكدة، لقد دوّنت ذلك. ما هو الرقم؟» عندما أخبرت جيما السيدة العجوز طلبت الرقم ولكن للتو ردت السماعة إلى مكانها وأعلنت: «الخط مقطوع، ربما تقطعت الأسلاك.»

«إذن، سأذهب إلى لندن، سأذهب لمطار هيثرو وأستطلع الأمر.»

قالت جيسي مرتبكة: «لا يمكنك الوصول. قلت ذلك بنفسك الآن.»

«سأصل، عليّ ذلك لا يمكنني الجلوس هنا والانتظار.»

«سآتي معك.» صرحت جيسي قاطعة ولكن جيما أوقفتها في الحال.

«لا أستطيع أن أتحمل مسؤوليتك أيضاً. أستحق هذا! أستحقه! لم أدعه يعلم أني أحبه. لم يعلم يا جيسي.» وانفجرت تبكي بمرارة والذراعان الحنونتان ضمتاها كما لو انها طفلة. «عليك أن تخبريه بذلك حين ترينه. سأحضر معطفك.» احست جيما وكأنها مخدرة حين كانت جيسي تحكم رباط معطفها وتطلب منها أن تنتبه لنفسها.

قالت ببطء: «لقد مات يا جيسي.» أكدت لها جيسي: «لا أظن ذلك. سنواجه السوء حين نتأكد بأنه حصل. ليت سيارة السيد ساندرسون الكبيرة ما زالت معك. فقط توخي الحيطة والحذر.»

كان مستحيلاً رؤية الأشجار الضخمة في الحديقة. كل المنطقة مغطاة بالأبيض. الثلوج تتساقط بغزارة ويبدو أنها لن تتوقف.

حتى على طرق القرية هناك سيارات علقت بالثلوج،

وحين وصلت إلى الطريق العام كانت الشرطة هناك، يمنعون التقدم ويأمرون السيارات بالعودة من حيث أتت. فتحت شباك السيارة متجاهلة البرد منتظرة بتصميم عنيد للعبور.

«إلى أين أنتِ ذاهبة يا آنسة؟» الشرطي الذي تقدم نحوها بعد دقائق بدا كرجل الثلج. «إلى الطريق السريع.» لم تزد على ذلك كلمة. «ما من مجال، يا آنستي، أنا مضطر إلى إرجاعك.» ولكنها اخرجت رأسها من النافذة وقالت: «لن أرجع، عليّ أن اصل إلى لندن.» قال بغضب: «هذا ما يقوله الجميع، يا آنستي. لا أستطيع أن ادعك تمرين لأنك ستعلقين بالثلج وهذا ما نتوخاه. الفوضى ستزداد على الطرق.» ثم حدق بها وتابع: «لقد أجريت هذه المحادثة حوالي خمسين مرة حتى الآن.» قالت جيما بهدوء: «أظن أن وضعي مختلف. خطيبي، كان على متن طائرة تحطمت وعلي أن اصل لأطمئن، خطوط الهاتف معطلة ولست ادري ما إذا...» نظر مشدوداً إليها، متأملاً وجهها المفجوع. وقال لها: «إنتظري دقيقة.» فتقدم الشرطي من سيارة «رانج روفر» كانت متوقفة على جانب الطريق بينما جلست جيما مصممة على ألا تعود أدراجها. رجع بعد دقيقة، وأشار إليها بأن تتجاوز صف السيارات وتلحق بسيارة «الرانج روفر.» اقترب منها قائلاً: «سوف تمر، فقط الحقي بها. إن توقفت سيهرع لنجدتك.»

شكرته جيما: «شكراً.»

«حظاً سعيداً، يا آنستي.»

دلفت بسيارتها خلف الرانج روفر الخاصة بالشرطة

وتبعتها كالمسلوبة. الأضواء خدرت عقلها. كان هناك صف من الأضواء الحمراء والإشارات الزرقاء، والثلج على الجانبين لا شيء آخر. بدا العالم وكأنه انتهى، وإن توفي جايمس لا يهم بعدها إن توقف العالم عن الدوران.

كانت الساعة التاسعة حين وصلت إلى الشارع الذي يقطن فيه جايمس. تجمدت في سيارتها لفترة لتجد الشجاعة الكافية للدخول إلى شقته وما ستحس به من أجواء جايمس.

رحلتها إلى المطار لم تكن مثمرة. البيرنيه محاطة بالثلوج، والحطام على بعد أميال، وفرق الانقاذ بدأت بالتحرك، عملت جاهدة حتى علمت فقط أن اسمه كان على لائحة المسافرين في هذه الطائرة، وقد نصحوها بأن تبقى في المنزل وتتصل كل ساعة. ما من شيء يمكنها أن تفعله سوى الانتظار والصلاة. اسدلت الستائر واضاءت الأنوار ثم شغلت جهاز التدفئة، حاولت الاتصال بالدروب الساطعة ولكن الاتصال ما زال مقطوعاً. من المؤكد أن جيسي قلقة جداً الان، ولكن ماذا تستطيع أن تفعل حيال ذلك. بدأت تتجول في الشقة، تنظر إلى الأثاث، تلمس الأشياء التي يلمسها جايمس، وقلبها محطم، ثم استقرت في غرفة الجلوس، حينها فقط رأت الخاتم يلمع على الطاولة، تماماً حيث وضعه جايمس. قال إن لا قيمة له دون أن يكون في اصبعها. غمرت الدموع عينيها. لن تخلعه ثانية، هكذا اراده جايمس.

دون أن تفعل شيئاً مرّ الوقت ببطء، ولا يبدو أنها تستطيع أن تفعل شيئاً سوى ترقب الساعة منتظرة الساعة لتمر حتى

تتصل بالمطار. حينما آن الوقت رفعت السماعة بأصابع مرتعدة. أصوات أتت من المدخل الرئيسي للبيت، فتح الباب ثم أغلق، صدمت لدقيقة ثم سمعت صوته، ينادي اسمها بأمل، مندهشاً.

«جيما؟» ألقت سماعة الهاتف حين فتح باب غرفة الجلوس وجايمس كان واقفاً هناك، فلم تصدق عينيها. انه هناك، حقيقة، وحي! لم تستطع البوح بأية كلمة. نظر اليها بعينين داكنتين مندهشتين، واشتياق دفين. بدا متأثراً أوضح بهدوء كأنه يتوسل الإجابة: «رأيت الأنوار وسيارتك خارجاً حين أوصلتني سيارة الأجرة، سيارتك مغطاة بالثلج ولكنني ميزتها، يا جيما...؟»

كانت تقف من دون حراك، محدقة به، ويداها على خديها الملتهبين بالحرارة، تجاهد لكي لا يغمى عليها، كي لا تصرخ. لم يبد وسيما من قبل هكذا، اسمر وطويلاً، ومحبباً. وكان هنالك ألم وقلق في عينيه. كل شيء تلاشى، اتزانها، برودتها، مخاوفها صمتها، وركضت نحوه ورمت بنفسها بين ذراعيه اللتين تلقفتاها بتلقائية وقالت له بهمس: «ظننت أنك مت، ظننت أني خسرتك. جايمس! جايمس.» فضمها إلى صدره بقوة واستطاعت أن تسمع ضربات قلبه المتسارعة ثم رفع وجهها نحوه ليمسح دموعها.

سأل بهدوء: «سمعتِ عن الطائرة التي تحطمت، لم أعلم شخصيا حتى حطت طائرتي، لم اكن اظن بأنك ستعلمين؟»

«لقد كان الخبر ضمن نشرة الأخبار التلفزيونية، وجيسي قالت أنك على هذه الرحلة، لم أستطع الاتصال للإطمئنان. الخطوط معطلة.»

«لقد فاتتني الرحلة، وتدبرت امري بالرحلة التالية.» بدا فجأة مندهشاً، وسألها: «كنتِ في الدروب الساطعة؟ ولكن الطرق مقطوعة. اردت التوجه إلى هناك ولكنهم حذروني.»

اكملت جيما بصوت مرتعش: «أخذت مرافقة من الشرطة عندما... عندما أخبرتهم، كانوا لطفاء معي...»

«اللعنة، كان عليّ أن أجنبك هذا لو استطعت.» فوقعت عيناه فجأة على الخاتم المتلألىء في إصبعها ولم يقل شيئاً سوى «تعالي واجلسي. سأمرر رسالة لجيسي. لا بد أنها مشغولة البال عليكِ الآن.»

«وعليك أيضاً! تظن بأنك رائع.» اكد لها: «هذا ما توقعته تعاملت معها لسنتين كجاسوسة عليك لحسابي.»

اتصل بالكولونيل برانت في الدائرة الرسمية للقرية المجاورة. ثم قال لها: «سيرسل أحدهم لإبلاغ جيسي.» ثم نظر إلى وجهها الشاحب وتابع كلامه: «أحضر لك شيئاً لتاكلي؟» هزت رأسها نافية: «لا يمكنني أكل أي شيء سأحضر أنا لك شيئاً.»

«أكلت في الطائرة.» كان يحدق بها وشبه ابتسامة على وجهه، لم تفعل شيئاً سوى التحديق أيضاً، ثم قالت له: «لا، لا تقل هذه الكلمة مرة أخرى. أنا... أنا لا أريد أن اسمع. اني اتلعثم.»

«حسناً، لم أشفك بعد، على أي حال، بدأت أحب ذلك تلعثمي كما تحبين.» تقدم منها وقف امامها سأل بنعومة: «إذاً، أنتِ تحبينني؟» لم تنكر، بل اعترفت: «نعم، أنا احبك، يا جايمس، أحببتكِ لسنين ولكني لم اصرح. كنت أغار وأخاف ولكن الأمر لم يعد يهم. فكرة أن افقدك... أعلم أنك لم تبادلني الكلمة، ولكن لا يهم لأن...»

قال بوضوح: «أنا أحبك احببتك منذ رأيتك أول مرة، اريدك بطريقة لم تحلمي بها قط.»

تمتم وهو يضمها: «أنت تضعين خاتمي. هل ستتزوجين مني؟»

«إن كنت ما تزال تريدني.»

«إن اردتك؟ آه، يا جيما، لقد انتظرتك طويلاً، وتشوقت إليك حتى اقتربت من الجنون.»

تابع بالحاح: «إنك لي، ولن أدعك تذهبين.»

«لا أريد الذهاب.»

«أنا امتلكك في خيالي، ولكن كل مرة أنظر فيها إليك أحس وكأنها المرة الأولى. قوليها ثانية يا جيما.» فنظرت في عينيه وقالت: «أنا احبك. لو خسرتك...»

«لن تخسريني. انتظرت طويلاً، يا جيما، الآن أنا اريدك، وأقولها متوسلاً.»

«لا تتركني يا جايمس، اريد ان ابقى إلى جانبك دائماً، لا استطيع العيش من دونك. لقد احببتك منذ رأيتك لأول مرة في «الدروب الساطعة».»

هز رأسه الداكن وقال: «أما أنا فقد احببتك قبل ذلك بعدة أشهر. كنت أسافر برحلة إلى نيويورك، ورأيتك مع والدك، كان عائداً من رحلة وكنت هناك لملاقاته، ألغيت رحلتي، وتبعتك.»

«لحقت بي؟» ابتسم وقبّل رأس أنفها. وتابع: «لحقت بكما، حينما عبرت سيارتكما مدخل «الدروب الساطعة» كنت تماماً خلفكما، ذهبت إلى القرية وتحريت عنكما، وعرفت أن باري ليل صاحب شركة «ليل للهندسة» يعيش في المنزل الجميل القديم ومعه ابنته جيما.»

«إذن، لم تكن فقط مصادفة؟» اعترف وقال: «لم استطع انتظار فرصة، لقد وقعت في الحب لأول مرة في حياتي. كان ذلك مؤلماً، وأشد إيلاماً حين أعلنتِ كرهك لي.»

«لم اكن اعنيها.» قالتها ويدها تتحسس وجهه. أكد لها بقلق مقبلاً أطراف اصابعها: «لقد خدعتني بنعومة لم استطع ان استسلم. كان ذلك مسيطراً على روحي. فشاركت بـ ليل للهندسة برغم اني لست في حاجة إلى ذلك، عندها علمت بأمر ظروف والدك.» أضاف بهدوء: «لم أقدر أن أفعل أي شيء لردعه. كان منكباً على تحطيم حياته بيديه وتأثرت لوضعك حين تعلمين. لذلك اقتربت قدر المستطاع.»

ذكرته جيما: «قلت أنك لن تحبني.» أجابها بصراحة: «بدا الشيء الوحيد الذي ستصدقينه أي اعتراف بالعشق كان سيخيفك حتى الموت. كان عليّ أن أبدو كما كنت دائماً، قاسياً، شرساً...» دعمت جيما قوله: «وغير محتمل.» ادار وجهها نحوه. وقال لها: «متى ستتزوجين مني؟»

«قريباً، متى استطعنا.» كل ما كان يعتريها الآن هو الحب... لا مخاوف ولا قلق.

«لا يمكنني أن ادعوك إلى العشاء خارجاً. الجو شديد البرودة، يمكننا تناول الطعام هنا، الثلاجة مليئة بكل ما نحتاجه. سأطهو لك وجبة شهية.»

ألحت قائلة: «أنا سأطهو. أنا طاهية ماهرة.»

«إذاً لقد فزت بالعمل.»

حين استيقظت جيما في اليوم التالي كان جايمس لا يزال نائماً وشعره مبعثراً كالأطفال، وجهه الرائع مسترخياً. بدا مرتاحاً، مستمتعاً. واحمرت وجنتاها حين تذكرت حديث

الليلة الماضية. لم تكن تستطيع أن تصدق كيف أن ليلة طويلة جداً قد غيرّت حياتها. فتح عينيه ليجدها تحدّق به همس قرب أذنها: «الآن، من أنت؟»

«أنت تعلم من أنا.» اشار بلطف: «لطالما علمت. سأكون في غاية السرور حين اتأكد من أنك علمتِ. هل أنت متعبة الآن؟»

همست قائلة: «قليلاً.»

«ما من مشكلة. ستبقين هنا، عليّ الخروج لاستطلاع مجرى الأمور في البلد، وأنتِ لن تتحركي من الشقة. ستبقين إلى ان نعود إلى «الدروب الساطعة» سوياً، لن يكون اليوم، بسبب كثرة الثلوج على الطرق. لا تقلقي لوجود أي دخلاء، أريد غدائي جاهزاً عند الواحدة.»

«أنا لست خادمة لكَ!»

«هل أنتِ متأكدة من كلامك؟»

«اريد... اريد أن انهض الآن.»

«أريد أن ابدأ يومي كما تمنيت لسنتين خلتا... بأن تكوني بين ذراعي.»

«جايمس اود التكلم معك.»

«توقعت ذلك، تريدين قوانين؟»

«أنا أحبك وأريد مشاركتك، في ما يخص النساء، ولكن يا جايمس...»

قال برقة: «لم تشاركيني مطلقاً. نعم، كان هناك نساء، ولكن ليس بعد أن رأيتك، لحظة رأيتك تغيرت حياتي. لا استطيع تبرئة نفسي ولكني تغيرت فعلاً.» أضاف بوقاحة: «ليس هناك نساء، يا حبيبتي ولن يكون هناك إلا جيما.» بل

هناك روما. تمتم قائلاً: «نعم. روما لم وليست لن تكون صديقتي بأي حال، تحاليل الصحافة دون اساس. إنها فقط تسعى وراء دفعها للأمام وما أرادته هو مالي، لديها افكار ومشاريع للمستقبل... مستقبلها هي.»

«ولكنك قلت لي أنها صديقتك.»

قال بمتعة: «اصرخي في وجهي بهدوء، يا عزيزتي. رغبت في اثارة غيرتك وهذا ما حصل. وددت الاختباء وراءها، عليك الإعتراف بانها سيدة قاسية.»

«وماذا عن شينا؟»

«عرفتها قبلاً؟» سألته بغضب: «قبل ماذا؟» أجابها مستمتعاً بغضبها: «اتيت بها من شركة بعد طلبٍ شخصي من هستر. وحتى وقتنا هذا هي ممرضة هستر فقط.» علّقت جيما: «ولكنها تعني الكثير لك.»

«في منزل خالتي صدمت بمخيلتك لكن الأمر ليس كهذا!» احمرت جيما فجنبها نحوه وقال موضحاً: «منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها، لم يكن هناك احد إلا أنت، أنا انتمي اليك وليس لأي امرأة اخرى. لن انظر إلى غيرك.»

نظر إليها جايمس مطولاً ثم انحنى وقبّلها على جبينها وسألها: «اخبريني ما يجول في بالك الآن.»

«لفترة طويلة ظننت أن «الدروب الساطعة» هو محور حياتي.»

«والآن؟»

«الآن هنالك انتِ والحياة الجديدة، ربما علينا شراء بيتنا الخاص، لنعيش مع احلامنا، وذكرياتنا.»

«بالنسبة إلى المنزل كان انت، المكان الذي عشت فيه،

المكان الوحيد لرؤيتك، رغبت به لكي احيط بك يا حلمي.»

«أنا حقيقة يا جايمس لست حلماً، وأحبك.»

إذاً عرفت المكان المناسب سيتسع لنا واحلامنا وجيسي والطفال المستقبل.»

«أظن أني سأنهض لأحضر القهوة، لم تعجبني قهوتك أمس.»

«إنها واحدة من الأشياء القليلة التي لا أجيدها.» ثم شرح قائلاً: «سأبقى هنا حتى تخدميني، سيدك ومرؤوسك.» وغرق في الضحك بينما رمته جيما بوسادة من مكانها.

همس وهو بقربها: «لقد تقدمتِ تقدماً ملموساً.»

«وهل كان هناك امتحان.» نظرت إليه بعينين تتراقصان من السعادة.

«حين تحديتني لإعطائك فرصة فكرت سريعاً، راهنت على مدى مقاومتك، وإن نجحت في هذه الفرصة، ستخرجين من قوقعتك المعتادة وتنطلقين، وستكون فرصتي لتنظري إليّ.»

تمتمت جيما قائلة: «أنا سعيدة جداً يا جايمس، سأبذل قصارى جهدي في العمل، لا دخل لعلاقتنا في ذلك.»

قال بقسوة: «لديّ امور كثيرة ستشغلك في المنزل.»

«أريد قهوتي حالاً... وبالنسبة إلى المكتب، يا آنسة ليل، أنتِ مطرودة.»

تمـــت